بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

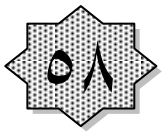

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٥٨ ـ ربيع الثاني ١٤٣٣هجرية قمرية

اسفند ١٣٩٠هجرية شمسية / مارس (آذار) ٢٠١٢

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران –طهران –ص. ب: ٦٩٩٥– ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني:info@taghrib.ir

الطباعة: حسين المندلاوي / على حروف (**قلم برتر**) خاص بالنشر المحترف

النسخة رقم (٢) من www.MaryamSoft.com

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل
الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.IranArab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤. ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥. المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٥٨

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي ٤

الإمام الخميني والصحوة..... ١٨

المثقفون والبحث عن تصحيح الصورة..... ٢٩

رفض الطائفية في الخطاب الشعري النجفي المعاصر..... ٤٥

العناصر النفسية في منهج تدريس النحو العربي ٥١

الدراسات الفارسية في العالم العربي ٥٧

الجواهري في زيارته الثالثة لإيران..... ٦٥

حافظ الشيرازي في دراسات سيد قطب..... ٧٥

التواصل بين العلماء ٨٦

في رحاب الرسول ٩٦

البدعة بمفهوم حضاري..... ١٠٣

البيان الختامي لمؤتمر الوحدة الإسلامية الخامس والعشرين . ١١١

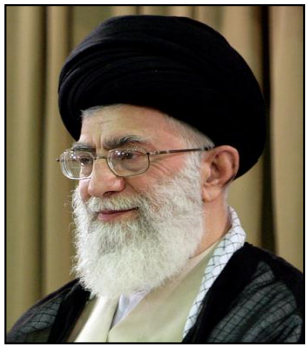

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي

من حديث له أمام جمع من شخصيات العالم الإسلامي بعد أن استمع إلى حديثهم

(١٩٩٩م)

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

أرحب بكل الإخوة الأعزاء، وآمل أن تكون زيارتهم القصيرة لإيران عاملاً من عوامل زيادة التفاهم والتعامل بين البلدان المسلمة، خاصة على صعيد الدعوة الذي هو أهم صعيد للنظام الإسلامي.

قبل أن أبدأ حديثي أرى من اللازم أن أشكر من الصميم معالي السيد عزالدين العراقي الأمين العام المحترم لمنظمة المؤتمر الإسلامي على ما تفضل به، وعلى ما يتحمله من أتعاب قيمة للمنظمة، نحن نفهم قدر هذه الاتعاب، ونأمل له اطراد التوفيق.

كما أشكر المشير سوار الذهب على ما تفضل به، وأنا أعرفه منذ سنين، ولكن عن بعد، وأنا مسرور أن ألتقي به الآن عن كثب. وتلك الذكريات التي سردها هي أيضًا حلوة في مذاقنا بنفس

الدرجة. حينما استلمتم السلطة نحن احتفلنا في إيران. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمن على دولة الإسلام والمسلمين في السودان بالثبات والاستحكام.

إخوتي الأعزاء، لا أريد أن أتحدث إليكم باعتباري مسؤولا رسميًا، بل باعتباري طالب علم، وباعتباري رجل دين. ما نهضتم به من أعمال خلال المنظمات المختلفة وفي البلدان المختلفة، على صعيد الدعوة وتنسيق شؤون الدعوة يستحق كامل التقدير، ولاشك أن الله وحده قادر على أن يشكركم على مساعيكم المخلصة والصادقة التي تبذلونها على طريق الدعوة إلى دينه. وأنا العبد الضعيف الحقير أتقدم أيضًا بالشكر إليكم على مساعيكم في طريق الدعوة إلى الإسلام.

أهمية الدعوة إلى الإسلام

الدعوة إلى الإسلام فخر لكل من يحمل أعباءها. إن الله يمنّ على عبده حين يمكّنه من توجيه الناس إلى صراطه المستقيم، ويبيّن لهم معالم الدين الحنيف.

أول داع إلى الله هو الله نفسه سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾.

وأول داعية إلى الإسلام هو النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله).

نفخر جميعا بأننا نصدع بما أمر الله سبحانه أفضل خلقه وأشرف أنبيائه إذ قال: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

الإسلام ببركة الدعوة استطاع أن يضرب بجرانه في أرجاء المعمورة.

عندنا الجهاد أيضًا، عندنا السيف أيضًا لكن السيف لإزالة الموانع أما الدعوة كي ينفذ نورها في القلوب. في هذا البلد الكبير إيران لم يكن دخول الإسلام في أعماق القلوب بسيوف المجاهدين، سيوف المجاهدين أزالت الموانع، إنها دعوة المؤمنين المخلصين بلسانهم وعملهم، كانت الدعوة بالعمل أيضًا: «كونوا دعاة للناس بغيرألسنتكم».

لقد آتت الدعوة الإسلاميّة أكلها على مرالقرون والإعصار، وترون اليوم عمق الإيمان الإسلامي في قلوب شعوب آسيا وأفريقيا وسائرقارات العالم، بل ترون الشوق المتزايد إلى الإسلام في بقاع القفقازوآسيا الوسطى التي قبعت سبعين سنة تحت نيرالنظام الماركسي المعادي للدين والإسلام هذا الشوق طفح بمجرد انهيار التسلط الشيوعي عليها.

إخوتي الأعزاء.

نحن في هذا المجال لا يعوزنا شيء. عندنا القرآن، وعندنا سنة النبي وأهل بيته، وعندنا أحكام الإسلام النيرة والمعارف الإلهية الإسلاميّة السامية. والعالم اليوم بحاجة إلى هذه المعارف.

آلية الدعوة

أقول لكم أيها الاخوة واثقًا: كما أن الأفكارالإلحادية

الماركسية لم تستطع أن تقاوم الأفكار الإسلاميّة السامية طويلا، بل كان لها جولة سرعان ما انتهت، كذلك الأفكار الغربية الراهنة التي تواجه الفكر الإسلامي في كثير من ساحات الحياة بلغة أخرى وبأساليب أخرى، لا تستطيع أيضًا أن تقلل من عذوبة أحكام الإسلام ومعارفه. البشرية اليوم متعطشة إلى الإسلام.

ما جاء على لسان بعض المفكرين إذ قالوا: «القرن الميلادي القادم هو قرن الإسلام» أؤيده أنا أيضًا تجاربنا ورؤيتنا للساحة العالمية تؤيد ذلك، شرط أن نكون دعاة للإسلام وأن نعمل بواجباتنا إذا نهضنا بواجبنا فالأجواء مهيئة. المعارف الإسلاميّة لها قدرة الامتداد إلى أعماق القلوب في جميع أرجاء العالم. المهم في هذا المجال أن الدعوة إلى الحق و إلى الإسلام لها متطلباتها في كل زمان. يجب أن نفهم هذه المتطلبات، لابد أن نعرف مخاطبنا، ونعرف الخطاب المناسب لهذا المخاطب.

أرى أن الذي يجب أن يكون محور التنسيق العمل الدعوي بينكم أيها الإخوة والدعاة هو دراسة آلية الدعوة في عالمنا المعاصر. والى أي شيء ندعو؟

وما هو المنظار الذي نطل به على مسائل الناس ومشاكلهم لنستطيع أن نقدم إليهم الإسلام بشكل صحيح؟.

تياران خاطئان

يظهر أن الساحة الإسلاميّة تشهد تيارين كلاهما يشكلان

خطورة على الإسلام. أحدهما: اتجاه تصوير الإسلام على أنّه مجموعة أعمال عبادية -أو شخصية على أبعد تقدير- وبذلك يبعد الإسلام عن أهم ساحات الحياة يبعد الإسلام عن ساحة السياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والمجالات الهامة. ويحوّل الدين المبين إلى عقيدة صرفة في القلب وعمل فردي لا يتجاوز الإطار العائلي والارتباط الأسرى.

هذا الإسلام ليس بالذي يتعطش إليه عالمنا المعاصر، وهو أساسًا ليس بإسلام النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) حين ورد المدينة أقام الحكومة الإسلاميّة، وترأسها بنفسه. لو كان بالإمكان أن ينتشر الإسلام دون الاعتماد على قدرة إسلامية ودون معالجة المسائل السياسية للمجتمع، لترك رسول الله الحكومة لمن كان يطلبها، وانشغل هو بأمور الدعوة إلى الدين وأحكامه و إسداء النصح إلى الناس.

النبي أقام نظام الإسلام. والعمل بالإسلام يستلزم أن يسخّر الدين كل ساحات الحياة، لا القلوب فحسب، ولا الأعمال الفردية والشخصية فقط، ولا المسائل الصغيرة والتافهة هذا الاتجاه خاطئ إذن.

وثمة اتجاه خاطئ آخر في حقل الخطاب الإسلامي، وهو خاطئ بنفس درجة الاتجاه الأول. ويتمثل في اتجاه أولئك الذين يريدون أن يتحدثوا عن الإسلام، فلا يلوذون بمصادره الأساسية، بل يتجهون إلى ما راج في العالم من صرعات فكرية. يذهبون إلى ما يهيمن

اليوم على كثيرمن مناطق العالم من فكرغربي، فيكرروه باسم الإسلام.

للحضارة الغربية خطابها الخاص اليوم، وهوليس بجديد، لقد خبره العالم مدة قرنين أو ثلاثة قرون. طبعًا البلدان الغربية حققت في مجال التطورالمادي مكتسبات جيدة، ثروة هائلة وتطورًا علميًا، واختراعات كبيرة. هذا دون شك وليد الجوانب الإيجابية الموجودة في تفكيرهم، أو وليد الخصائص القومية القائمة فيهم.

مآسي الحضارة الغربية

لكن البلدان الغربية في ظل هذه الحضارة ليست سعيدة بالمعنى الإنساني لكلمة السعادة. لا يتمتعون باستقرارروحي، ولا بعدالة اجتماعية، ولا رعاية لشؤون الإنسان والإنسانية. أعظم الحروب شعل أوارها الأوربيون بهذه الحضارة وبآلة هذه الحضارة ارتكب الغربيون أفظع مجازرالتاريخ.

قبل مدة أعلنت إحدى الأجهزة الكنسية إحصاء مفاده أن عدد المسيحيين الذين قتلوا في القرن الأخيريفوق قتلى المسيحية في كل التاريخ المسيحي. هذه إحصائية نشرت في هذا الأسبوع. وأود أن أسأل أصحاب هذه الإحصائية: من الذي قتل هؤلاء المسيحيين؟ هل قتلهم المسلمون؟ هل قتلهم البوذيون؟ أم قتلهم المسيحيون أنفسهم ؟!

من الذي قتل الملايين في الحربين العالميتين؟ المسيحيون

أنفسهم قتلوا المسيحيين. الأوربيون ارتكبوا هذه المجازر، الغربيون هم الذين أبادوا الحرث والنسل، وقتلوا أيضًا كثيرًا من غير المسيحيين وغير الأوربيين.

هذه الحضارة الغربية فرزت ظاهرة الاستعمار وفرضتها على العالم مدة مائة وخمسين سنة، وبسطت سيطرتها على كثير من البلدان الآسيوية والإفريقية. ولعل أفريقيا بأجمعها خضعت لسلطة الاستعمار وعانى الملايين من شعوبها من نير المستعمرين. انظروا ما فعله الإنجليز في شبه القارة الهندية. انظروا ما فعله الفرنسيون في شمال أفريقيا انظروا ما فعله الهولنديون والبرتغاليون والبلجيك في شرق آسيا، وما الذي أنزلوه بشعوب هذه المنطقة.

إيران لم تخضع يومًا لسيطرة استعمارية مباشرة، لكن انظروا ما فعله نفوذ الدول الغربية بإيران. أخرونا مائة سنة إلى الوراء، كنا يومًا رواد العلم في العالم كان فكر إيران وعِلم إيران في الطليعة، وفي فترة نمو الشعوب وتطورها دخل الأوربيون بالتعاون مع المستبدين الداخليين ليعوقوا مسيرتنا ويؤخرونا مائة عام عن قافلة الحضارة، ولينزلوا كل هذا الظلم بإيران، وليخلقوا مجتمعًا يعاني ألوان التمييز كل واحد منكم شاهد على ما نزل ببلده من مآس على يد هذه الحضارة الغربية. بل أريد أن أقول ما عانته الشعوب الغربية من هذه الحضارة لا يقل عما عانته بقية الشعوب. البنيان العائلي في الغرب وفي أوربا، وخاصة أمريكا وأوربا الشمالية متزلزل، والشباب لا يشعر بالراحة، جيل الشباب في ظل الحضارة الغربية تسوده الحيرة

ويغمره الاضطراب واليأس وعدم الاستقرار. هذه هي المعطيات التي وهبها الغرب للبشرية.

التجاوب العالمي مع الإسلام

نحن نشاهد أعظم التجاوب مع الإسلام في هذه المناطق بالذات.. في أمريكا وأوربا وفي المناطق التي تسودها الحضارة الغربية الدعاة المسلمون يبذلون جهودهم المتواضعة في تلك المناطق غيرأنهم يجدون أعظم التجاوب من الناس. لا بدأنكم على علم بهذه الظاهرة.

العالم اليوم ينشد إذن الإسلام الحقيقي. ولتبيين الإسلام علينا أن نستخدم مصطلحاته، وأن نتجنب مصطلحات الحضارة الغربية التي لا تعبربدقة عن معنى الإسلام، ليس هذا تعصبًا، لا نزيد أن نتخذ موقفًا متعصبًا من الحضارة الغربية. لا، نحن نؤمن بالتبادل الثقافي، **نحن نعتقد أن الحضارات قادرة على أن تستفيد من بعضها. نحن جربنا حضارات متعددة. الإسلام في صدره الأول استفاد كثيرًا من حضارة الروم وحضارة إيران. ونحن نستفيد اليوم أيضًا. الذي أحذرمنه هو الهزيمة والتراجع أمام حضارة الغرب.** أنا أتصدى للوقوف بوجه هذه الحالة، وأحذرمنها. هذه مسألة تعرفونها طبعًا، وليس فيها جديد عليكم. علينا أن ننهض بعملية إحياء الثقافة الإسلاميّة ثمة هجوم شامل اليوم موجّه إلى الثقافة الإسلاميّة بالذات، خاصة مع تصاعد الصحوة الإسلاميّة.

الاتجاه نحو الاستقلال

البلدان الإسلاميّة استيقظت بحمد الله، الحكومات الإسلاميّة تستشعر الاستقلال، المسلمون يحسون بالعزة. نحن نشاهد في كل أرجاء العالم الإسلامي أن الشعوب والحكومات لا تتسم بحالة الخضوع أمام أدعياء الهيمنة العالمية. الشعوب والحكومات في حالة استقلال.. في حالة يقظة. ونحن في إيران قلناها «لا» لكل من أراد أن يتعامل معنا تعاملا سلطويًا، ويغمرنا السرور والرضا لموقفنا هذا، ولم نعان جراءه من مشكلة مستعصية.

طبعًا عندنا مشاكل، وهذه المشاكل ناتجة عن ضعفنا، كانت عندنا نقاط ضعف وعدم تجربة وبسببها خلقنا لأنفسنا مشاكل. العدو لم يستطع توجيه ضربة إلينا. إن العدو يعرقل مسيرتنا ويخلق لنا مشاكل، لكنها مشاكل يمكن التغلب عليها، وليست بمستعصية. ليس ثمة مشكلة أكبر .على الصعيد الثقافي ـ من الانهزام أمام ثقافة الأجانب وعلينا أن نتغلب في العالم الإسلامي على هذه المشكلة.

مواجهة الغزو الثقافي

إخوتي الأعزاء. خلال عشرات السنين من السيطرة الأوربية وأخيرًا الأمريكية سعوا إلى أن تطغى ثقافتهم على ثقافتنا الإسلاميّة. سعوا إلى سيطرة ثقافتهم في جميع المجالات الاجتماعية. وهذا هجوم حقيقي وقد حان الوقت أن تبدأوا يا رجال الدعوة الإسلاميّة

بهجوم مضاد. وليس من الضروري أن يكون الهجوم المضاد ذا جوانب سلبية دائمًا. الجوانب الإيجابية فيه تفوق الجوانب السلبية. وضّحوا للناس روائع الصورفي تاريخ المسلمين وحقائق الإسلام، وتوحيد الإسلام، والمعنى السامي للنبوة والعدالة الإسلاميّة، والحكومة بالمعنى الإسلامي ومكانة الإنسان في نظرالإسلام.

أية مدرسة من هذه المدارس التي تدّعي الدفاع عن الإنسان لها مثل هذا الخطاب بشأن الإنسان ؟!: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾. من تحدث بهذا الشكل عن الإنسان ؟ أية مدرسة تحدثت عن قتل الإنسان بهذه العظمة؟! البشرية تشتاق لاستماع هذه المواقف الإنسانية العظيمة.

البشراليوم رهن أسر دكتاتورية القوى المتجبرة العالمية. تشاهدون ما يجري في فلسطين. حقيقة القضية أن أصحاب البيت الفلسطيني مقهورون أمام مجموعة معتدية، والمأساة الأكبرأن صاحب البيت لا يحق له أن يجرأ على الكلام، لا يحق له أن يطالب بحقه. هذا أكبرظلم ينزل بشعب، وهواليوم ينزل بالفعل.

من الذي يرتكب هذا الظلم ؟ يرتكبه أدعياء الدفاع عن الإنسان في أوربا وأمريكا. إسرائيل ذاتها ليست بشيء. إسرائيل تعني شركة مساهمة من شذاذ الآفاق تجمعوا من بقاع العالم الغربي (أوربا وأمريكا)، وأخرجوا المسلمين من عقردارهم.

مثل هذا الظلم الكبيرينزل بالبشرية اليوم على يد أدعياء الدفاع عن الإنسان وعن الحرية. إنهم يتحدثون كذبًا عن الحرية!! نعم، توجد في الغرب حرية الشهوات، حرية النشاط الفردي، حتّى ولو أدى إلى ظلم الناس. ما هذه الحرية الموجودة اليوم في أمريكا؟! إنها تعني أن يكون فرد من الأفراد قادرًا .لتحقيق مصالحه .أن يمارس الظلم والتعسف (طبعًا في إطارالقوانين التي سنها هؤلاء الظلمة) بحق أي شخص. هؤلاء يريدون مثل هذه الحرية. أما حرية الشعوب من براثن استثمارالقوى المستكبرة فلا. لا يقبلون هذا أبدًا، ولا يرضخون له عمليًا.

ترون اليوم أن الدفاع عن الشعب الفلسطيني يعتبر كلامًا مدهشًا لكثيرين. لو قال قائل إن الفلسطينيين هم أصحاب فلسطين فكأنه أطلق كلامًا منكرًا.

انظروا إلى فظاعة هذا العالم الذي تسيطرعليه الثقافة الغربية. هل هناك ظلم أكبرمن هذا؟ إنه ظلم ما فوقه ظلم، ظلم بالإنسانية جمعاء.

الشعوب متعطشة للإسلام. الإسلام المدافع عن العدل: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾. مجيء الأنبياء و إرسال الرسل و إنزال الكتب إنّما هوللقيام بالقسط، لأداء حق الإنسانية، وللدفاع عن الإنسان هذا هوالإسلام. والبشرية متعطشة لهذا الإسلام. ويجب إيصاله إلى كل العالم وتبيينه لكل الناس.

آلية الفن في الدعوة

أولئك الذين يناصبون الإسلام والمسلمين العداء يتوسلون بكافة آليات الدعوة. بالفن والفلم والرواية والكتاب والدراسات التاريخية، وبإخراج دائرة المعارف. مع أن طبيعة «دائرة المعارف» أن تكون محايدة في القضايا السياسية والعقائدية والفكرية، غيرأنهم في دائرة معارفهم يدسون ما يدسون ضد الإسلام والمسلمين والتاريخ الإسلامي وحقائق الإسلام. أي إنهم يعملون بجد ضد الإسلام ويحمون باطلهم بكل السبل. وأنا أقول: عليكم أن تستفيدوا من كل السبل وخاصة من الفنون للدفاع عن حقكم.

في عالم الإسلام ثمة فنانون كثيرون، لماذا لا يعرضون قضية فلسطين كما ينبغي في إطارفني؟ لماذا لا تُعرض أحداث قرن أو قرن ونصف القرن من التسلط الأجنبي الظالم على البلدان الإسلاميّة في إطارفني؟!

ما ننساه وما لا ننساه

لا تقولوا هذه مسألة ترتبط بالماضي. هؤلاء مهتمون أن ننسى الماضي. لماذا لا ينسون هم الحروب الصليبية ؟ لماذا لا ينسون إثارة الاختلافات التاريخية بين أهل السنة والشيعة متى ما أتيحت لهم أدنى فرصة لذلك ؟ كيف يقولون لنا إذن: انسوا الماضي ؟ الماضي الذي يجب أن ينسى هو الاختلافات بين المسلمين. على المسلمين أن ينسوا اختلافاتهم. عليهم أن يتركوا جانبًا ما كان بينهم في

الماضي من اختلاف. على المسلمين أن يكونوا اليوم يدًا واحدة على مَنْ سواهم. ولكن لا يجوز أن ننسى ما فعله الأعداء بأمتنا العظمى. ولماذا ننساه؟! ما السبب؟! يجب أن نبينه للجيل الصاعد.

الانفتاح على العالم

نعم يجب أن نتعامل مع العالم. لم أقل بعدم التعامل. نحن بلد يسيروفق الأصول، ولدينا تعامل مع جميع العالم. نحن قطعنا التعامل مع بلدين فقط الأول إسرائيل والثاني أمريكا. وإنّما قطعنا التعامل مع أمريكا لعدائها معنا في الماضي وفي الحاضر، ولسعيها فرض السيطرة في علاقاتها معنا. لو لم تحمل أهدافًا سلطوية لأقمنا علاقات معها أيضًا. لكنها تستهدف الهيمنة ونحن نعرف هذا جيدًا، نحن نتعامل مع كل العالم. من هنا فالاطلاع على من ترك علينا آثارسلبية في التاريخ لا يتعارض مع التعامل.

حفظ الوحدة

المسألة الأخرى التي أريد عرضها عليكم حفظ الوحدة بين البلدان الإسلاميّة. منظمة المؤتمرالإسلامي ساحة جيدة لحل الخلافات بين البلدان الإسلاميّة، أوللحد منها على الأقل. ويسرنا أن نكون من الأعضاء الفاعلين في المنظمة وفي هذه الدورة التي تتولى فيها إيران رئاسة المنظمة نشعربمسؤولية أكبر. نأمل أن تحل الخلافات، ونعلم أن الخلافات بين البلدان الإسلاميّة سطحية ناشئة عن سوء تفاهم غالبًا.

أعداء الإسلام يسعون دائمًا إلى إثارة الخلافات بين المسلمين... بين بلدين جارين.. بين بلدين متباعدين.. بين عرب وغيرعرب، بل بين العرب أنفسهم وبين غيرالعرب أنفسهم. نحن قطعنا أشواطًا جيدة في طريق الوحدة، أشواطًا بعيدة والحمد لله. نحن راضون لوضعنا مع البلدان الإسلاميّة الشقيقة. والعلاقات تتسع وتترسخ بحمد الله. وهذا يستطيع أن يحمل معه بركات لكل العالم الإسلامي.

العلاقات الأخيرة الحميمة والوطيدة بيننا وبين السعودية تستطيع حتمًا أن تكون مؤثرة ومفيدة في قضية الدعوة الإسلاميّة. آمل أن تتوثق العلاقات بين بلدان العالم الإسلامي أكثرفأكثر.

أيها الإخوة الأعزاء.

أطلب منكم أن تنظروا إلى دنيا الإسلام بصورة «أمة» واحدة. نحن أمة واحدة. والذي يجمعنا إيرانيين وعربًا وباكستانيين وهنودًا كوننا مسلمين. نحن جميعا أمة إسلامية واحدة.. مجموعة واحدة بهذه الرؤية انظروا إلى عالم الإسلام، واعملوا لدنيا الإسلام. والله معكم، وسيكون لكم عونًا بإذنه تعالى. والأجواء مهيئة، وآمل أن نرى إن شاء الله في المستقبل القريب آثارهذا التفاهم وهذه المحادثات وهذه الاجتماعات في حياتنا وفي العالم الإسلامي وفي بلدنا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الإمام الخميني (رضي الله عنه) والصحوة

محمد علي التسخيري *

مقدمات

الأولى: أن الإمام، وإن كان شخصًا عظيمًا، إلا أننا هنا لا نبحث عن جوانب العظمة فيه بقدر تلمسنا لأبعاد رؤيته للواقع، وبرنامجه لتطوير هذا الواقع، ومدى تحقيق هذا البرنامج واقعًا، أو مدى ما يمكن تحقيقه منه مستقبلاً، وذلك لكي نتخذه مثلاً وقدوة في مسيرتنا الجهادية، في مجال زرع بذور الصحوة أو إيجادها أو ترشيدها في أي منطقة من عالمنا الإسلامي، أو بالأحرى من امتدادنا الإسلامي حتى في المساحات الأخرى.

ثانيًا: مما لا ريب فيه أنه (رحمه الله) كان يمتلك تصورًا متكاملاً عن قضية الصحوة بكل أبعادها، وهو ما يشهد له استقراء كلماته ومواقفه وخططه الثورية. فالمتتبع لكلماته في مطلع دخوله ساحة العلن الكلامي، وقيامه بتأليف كتبه يشهد وحدةً في نمط

---

* - الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

الكلام من الوضوح والنفوذ إلى عمق المشكلة القائمة والتركيز على التركيبة الروحية للفرد والمجتمع ـ من جهة ـ وعلى سر المشكلة من جهة أخرى.

والمتتبع لمواقفه يجدها وكأنها تشكل خطوات متتابعة مرسومة من قبل، تتناغم مع الظروف، وتتصاعد مع الحوادث، إلا أنها كلها يربطها خيط واعٍ واحد، ولا أدل على ذلك من استعراض مواقفه من نفسية الشعب الإيراني، من جهة، والنظام الشاهنشاهي القائم من جهة أخرى.

وهكذا يمكن ملاحظة تخطيطه الحديث الذي سار بعملية التوعية الفكرية منذ البدء وحتى الختام، والذي استهدف إثارة الحماس الثوريّ بالمدى المتناسب مع ما تسمح به الظروف المتغيرة والمناسبات الإسلامية، ومن ثم التخطيط لتحويل ذلك الحماس إلى فعل جماهيري حاشد مزق كل حسابات الكمبيوتر البشري، وبالتالي صنع أروع ثورة عرفها التاريخ المعاصر، حيث انفلت الشعب الإيراني المسلم من طوق الهيمنة العالمية عليه.

ثالثًا: إن الإمام يؤمن تمامًا بمبدأ (تصدير الثورة) وهو أمر لا يمكن أن ينكره أحد على الرغم مما حاوله بعض الناس مما يعبّر عن انهزامية امام النقود المطروحة. إلا انه لم يكن ليقصد الصورة التحريفية التي منحها إياه الإعلام الغربي، أي صورة التصدير بالسلاح و إيجاد الانقلابات العسكرية وما إلى ذلك. إنه كان

يركز على الجانب الثقافي والحماسي في آن واحد، فهو يقول (حين يتحدث مع سفراء الاقطار الإسلامية بمناسبة عيد الفطر عام ١٤٠٠ هـ):

«إننا نعتبر الأقطار الإسلامية جميعًا جزءًا من وجودنا دون أن يعني ذلك أن تفقد وجودها المستقل، وإنما نريد لها أن تتمتع بما تمتع به الشعب الإيراني من مزايا الخلاص من براثن القوى الكبرى، وقطع أيديها عن منابعه الحياتية، نريد لهذه الحالة أن يتسع مداها لتشمل كل الشعوب، إننا نعني بتصدير الثورة أن تستيقظ كل الشعوب وكل الحكومات وتتخلّص من قيود التبعية والتسلط».[1]

وفي حديث آخر يقول سماحته وهو يتحدث إلى سفراء الجمهورية الإسلامية:

«إننا ثرنا لنحيي الإسلام ومن ثم لنصدر الثورة ـ بمشيئة الله ـ إلى كل مكان، ذلك إننا إخوة وأحبة، مما يزيد فينا الأمل للعمل سوية وبكل ما نستطيع لتعميم هذا الجهاد وتحقيق هذا الهدف».[2]

بل كان (قدس سره) يرى أن بالإمكان تعميم هذا التصدير إلى كل الشعوب فيقول بمناسبة عيد الفطر عام ١٤٠٠ هـ:

«إننا إذ نعلن عزمنا على تصدير الثورة إلى كل الأقطار الإسلامية بل كل الأقطار التي يرزح فيها المستضعفون تحت نير المستكبرين،

١- من كتاب (كلام الإمام) ج١٥، ص٣١٧.

٢- كلام الإمام، ج ١٥، ص ٣١٧.

فإنما نريد من ذلك أن نحيي في الشعوب روح التحرك ضد المستكبرالفتاك، ونردم تلك الهوة بين الشعب والحكم المسلط عليه».[1]

فالتصدير ـ إذن ـ يعني (تصديرنموذج في إيران) وهذا يعني بدوره تصديرالخصائص المشتركة أو التي يمكن لها أن تمتد إلى أنحاء العالم الإسلامي، وتجريدها من المزايا المحلية الخاصة.

والذي نريد أن نخلص إليه؛ إن الإمام الخميني إذ يتحدث عن الثورة الإسلامية في إيران وعن مزاياها وخصائصها ودوافعها، ومحركاتها ونتائجها وعوائقها وموانعها، فإنه إنما يتحدث عن مسيرة الصحوة الإسلامية عبرمصداق من مصاديقها وتطبيق أمثل لها في إيران، وهو بالتالي يبرزنظريته العامة في مجال الصحوة الإسلامية، و إلاّ فما معنى التصدير؟ ومن هنا نجده ـ رحمه الله ـ يؤكد مثلاً أن ما نشاهده من تخطيط لضرب الثورة إنما هو تخطيط لضرب الإسلام والصحوة الإسلامية عمومًا، والقضاء على كل أملٍ للجماهيرالمسلمة في صياغة تشكيلة حكومية إسلامية في أي مجال آخر.

فهو يقول مخاطبًا مجموعة من الأخوة الباكستانيين في خريف عام ١٩٨٠:

«هل تتصورون أن هدف الخطط الاستعمارية هو القضاء على

١- المصدرنفسه، ص٣١٦.

إيران؟ كلا، إن الهدف هو القضاء على الإسلام، فليس الأمر يقتصر على قطر واحد فحسب، إنه يعم الأقطار الإسلامية جميعًا».[1]

ومن هنا جاز لنا أن نعمم حديثه إلى مجموع العالم الإسلامي حتى ولو كان يتحدث عن الثورة الإسلامية في إيران وعواملها ونتائجها.

رابعًا: إننا إذا شئنا أن نتعرف على منهج أو خطة أو أبعاد شخصية معينة فلابد من تتبع أقوالها وأفعالها وتقريراتها، لنقوم ـ بعد التأكد من دلالاتها ـ باستنباط مجمل الأبعاد، ومعرفة أجزاء النظرية المتكاملة، وهذا بالضبط ما يجب أن نفعله عندما نحاول اكتشاف مذهب معين أو نظامٍ عام للإسلام. ذلك أن علينا أن نكتشف هذا من خلال مجموعة النصوص النظرية أو المفهومية المطروحة، والأحكام المتفرقة المبنية على ذلك المذهب أو التي تشكل أبعاد النظام، وبالتالي أن نلاحظ نوع التطبيقات الفعلية التي قبلها الإسلام ونفذها في الحياة. وبنفس هذا الأسلوب نستطيع أن نكتشف أبعاد الشخصيات المنظّرة، ونعرف مجمل نظراتها إلى الواقع والحياة، وهذا ما نرجو أن نتبعه في دراستنا السريعة هذه.

حقيقة الصحوة

قلنا إن أمتنا الإسلامية مرت بفترات زمنية طويلة، عمتها غفوة،

١- كلام الإمام، ج١٥، ص٤٦ - ٤٧.

وشملها تخدير وضياع مقيت، يهتزله القلب ألمًا.

فالفهم الإسلامي الصحيح غير متوفر، إلاّ على صعد فردية محدودة المجالات، وحينئذ فمن الطبيعي أن لا تجد تعاليم الإسلام المحيية للنفوس مجالها الطبيعي المؤثر في القيام ببناء النفوس والمجتمع.

والتجزيئية؛ تعمل عملها الخبيث في تمزيق الفرد المسلم من كل الجهات، فهو ممزق في رؤيته الكونية، وقد أراد له الإسلام أن يتخذ رؤية واحدة تجاه الأشياء. وهو ممزق في شخصيته، حائر بين الالتزام بقوانين السماء والاتجاه مع الواقع الفاسد، والولاءات متعددة وآلهة التاريخ والتمدن، والعنصرية، والقومية، والوطنية، تمزق وجوده؛ هذه المفاهيم كلها سوف نشهدها في كلمات الإمام الخميني وهو يتحدث عن إيمانه بمستقبل الصحوة، ومظاهر الصحوة وثمارها، وعواملها وأسلوب ترشيدها والحفاظ عليها والأخطار التي تواجهها من قبل أعدائها.

فمن الظواهر التي أكدها الإمام الخميني في كلماته، وسعى بجد لتحقيق الإيمان بها في ذهن الجماهير؛ موضوع الإيمان بمستقبل الصحوة الإسلامية، بحيث لا تشوبه أية شائبة ولا يساوره أي شك في تحقيق هذا الغد المرتقب، وطبيعي أن الأمل الكبير يلعب دوره في تحريك الهمم نحو صنعه ويشد العزيمة على تحقيقه.

فنجده تارة يذكّر بالوعد الإلهي الذي لا يتخلف مطلقًا، باعتباره قاعدةً لهذا الأمل الكبير، فيقول في رسالته التي وجهها بمناسبة

قيام الجمهورية الإسلامية وذلك بعد أشهرمن نجاح الثورة الإسلامية:

«إن الله تعالى قد وعد بانتصارالمستضعفين على المستكبرين بتوفيقه ووعده وجعلهم أئمة، وها هوالوعد الإلهي يقرب من تحققه، إننا لنأمل أن نشهد نحن هذا التحقق».[1]

وأخرى تنبأ بالانتصارحتى على القوى العظمى، فيقول في حديثه لمجموعة من أعضاء حركة أمل اللبنانية (أواخرعام ١٩٨٠):

«يجب أن نحذف من قاموسنا منطق الهزيمة القائل بأننا لا نستطيع مواجهة القوى الكبرى. انكم إذا شئتم حققتم ما تريدون بإذن الله».[2]

ونجده (رحمه الله) تنبأ بسقوط المعسكرالشيوعي وانهياره بسرعة وذلك قبل تحقق هذا الانهيارالذي نشهده، فقد أرسل رسالته المشهورة لغورباتشوف في مطلع عام ١٩٨٩ وهي إحدى الرسائل النادرة التي بعثها إلى زعماء الدول، وقد قال له فيها بالحرف الواحد:

«إن البحث عن الشيوعية ينبغي أن يتوجّه من الآن فصاعدًا إلى متاحف التاريخ».[3]

وربما كانت هذه الرسالة من أعظم الوثائق التي تؤكد لنا أن المؤمن الصادق ينظربعين الله تعالى فيفتح الله له آفاق الحقيقة.

ومن ثم نجده (رضي الله عنه وأرضاه) يركزعنصرالإيمان بنمو

١- كلام الإمام ج١، ص٢٤.

٢- كلام الإمام ج١٥، ص٢٦١.

٣- مجلة التوحيد، العدد ٥٣، ص٧.

الانتفاضة الإسلامية في كل مكان، ويبشر دائمًا بانفتاح الآفاق أمام الصحوة بعون الله.

ففي عام ١٩٧٠ يجيب على رسالة للطلبة الجامعيين المسلمين في أوروبا فيقول:

«إنني ـ على الرغم من شيخوختي وعدم حصولي على ما كنت آمله ـ لآمل بكل ثقة أن تستمر شعلة هذه النهضة التي انطلقت في السنين الأخيرة بتأييد الله تعالى وأدت للتقارب بين العلماء والمثقفين».[١]

ويتحدث الإمام الخميني عن الثورة الإسلامية وانتصارها عام ١٩٧٩ فيقول:

«لقد تحقق ذلك على الرغم من الحسابات المادية التي كانت تطرح استحالة أن تنهار قوة تقف القوى كلها مساندة لها، وحتى الحكومات المنتسبة للإسلام أيضًا كانت تقف موقف الدعم لها ولكنها انهارت بالتالي».[٢]

ويقول في كتابه الرائع *ولاية الفقيه* والذي كان الموجّه الكبير لقيام الثورة الإسلامية:

«أنت أيها الشعب إذا أصررت على الطريق المستقيم وقمت بالأمر فإنك ستمسك أزمة الأمر بيديك، وستصدر منك الأمور و إليك تعود،

١- كلام الإمام، ج٦، ص٢٨.

٢- كلام الإمام، ج١٥ ص٦٦.

و إذا تحققت الحكومة التي أرادها الإسلام فإن الحكومات الفعلية في العالم لن تستطيع الوقوف أمامها».[1]

ويقول أيضًا مخاطبًا الطلبة الجامعيين في أمريكا وكندا في ١٧/ رمضان/ ١٣٩٥هـ:

«إن نقطة الوضوح التي تزيدني في أواخر عمري أملاً تتركز في هذا الوعي واليقظة التي تسري في هذا الجيل الشاب، إنها روح سارية بكل سرعتها وهي بحول الله تعالى ستصل إلى نتائجها الحتمية فتقطع أيادي الأجانب وتبسط العدالة الإسلامية».[2]

وفي بيان أصدره إلى عموم الشعب الإيراني في عام ١٩٧٢ ـ أي قبل سبع سنوات من الانتصار ـ يقول:

«إنكم تملكون طاقات شابة عظيمة تستطيع أن توصل الإسلام والبلاد إلى أوج العظمة والعزة وتقطع أيدي الجناة عن البلاد الإسلامية وبلدكم أنتم، تلك الطاقة التي لو بذلت في طريق الحق لتحولت إلى طاقة أبدية واتصلت بالقدرة الإلهية الأبدية... فاستيقظوا وأيقظوا الغافلين.. عودوا أحياءً وامنحوا الحياة للأموات، وانطلقوا تحت لواء التوحيد لتطووا ملف الاستعمار بنوعيه الأحمر والأسود».[3]

١- كلام الإمام، ج١٠ ص٣١.

٢- المصدر نفسه، ج١٠ ص٦٩، نداء الثورة، ص١٩٨.

٣- المصدر نفسه، ج١٠ ص٦٥ (الخميني والثورة) ص١٠٢.

ويقول في لقائه الضباط الباكستانيين أوائل عام ١٩٧٩:

«على المسلمين أن ينهضوا، فهم منتصرون في نهاية المطاف وسينتصرون.. وإن أمريكا لن تستطيع أن تقف في قبال المسلمين».[١]

وهكذا نجده مطمئنًا واثقًا بمستقبل الصحوة الإسلامية، ساعيًا بكل قوة وبمنطق سليم لتعميق هذا الإيمان في نفوس أبنائه الثوار.

ومن غريب الأمر أن الاستعمار حاول أن يتغافل عمق الصحوة الإسلامية، ومدى اتساعها، بل الأغرب من ذلك أن نجد بعض المنتمين إلى المدرسة الرجعية يحاولون جاهدين إنكار حدوث صحوة إسلامية مطلقًا.[٢]

والإمام يعتبر هذه الغفلة الاستكبارية تغافلاً يجب على المسلمين أن يردوا عليه ردًا عمليًا.

فهو يقول في جوابه على الرسالة التي وجهتها إليه المنظمات التحررية في أنحاء العالم والتي عقدت اجتماعها في الجزائر أوائل عام ١٩٧٩ ما يلي:

«إننا نعد عدم إدراك عمق النهضة الإسلامية في العصر الحاضر والجيل المعاصر أحد الأخطاء الكبرى للسيد كارتر وأمثاله، وإن على الشعوب الإسلامية ـ عبر وحدتها الإيمانية المستمدة من الله ـ أن تُخرج هؤلاء من غفلتهم.

١- كلام الإمام، ج١٥ ص١٦٧.

٢- حاول بعض المفكرين أن يعلن ذلك بصراحة في مؤتمر الفكر الإسلامي في الجزائر فتم التصدي لدعوته وفضحها.

فيا أيها المسلمون في أنحاء العالم ويا أيها المستضعفون الثائرون، ويا أيها البحر الإنساني اللامتناهي، انهضوا ودافعوا عن كيانكم الإسلامي والوطني».[1]

ولكن لم هذا التغافل والتجاهل؟ الحقيقة هي أنه يستهدف أن لا تعي كل الجماهير حقيقة ما يحدث، وإلا فإن النهضة ستسري سريان العافية في العروق اليبيسة، والنار في الهشيم، وهو ما أصر الإمام الخميني على توضيحه أمام الجماهير. إنه يقول في حديث له أمام عوائل الشهداء عام ١٩٨١:

«إن هؤلاء يرون حديث سقوطهم وفنائهم في كل مكان من العالم، فحتى السود في أمريكا يعلنون ذلك، إنهم يرون الإسلام قدرة متقدمة تعبئ بنفسها الشعب والأجنحة المتدينة والعناصر المظلومة، وإننا لنرجو بمشيئة الله أن يؤدي هذا لثورة المستضعفين في العالم للقضاء على القوى العظمى.. إنهم يخافون من هذا التحرك ...».[2]

١- كلام الإمام، ج١٥ ص١٦٧.

٢- كلام الإمام، ج١٥ ص٢٢١.

المثقفون والبحث عن تصحيح الصورة

زكي الميلاد*

١ -المثقف في صورة المثقف

من المفارقات اللافتة أن أشد نقد يتعرض إليه المثقف اليوم في المجال العربي، هو من المثقف نفسه، وهذا ما يدركه المثقف أكثر من غيره، إلى درجة يمكن القول أن ليس هناك مثقف، لا يضمر نقدًا، بل لم يعلن نقدًا صريحًا ومباشرًا للمثقف.

ونقد المثقف هو أكثر ما يتجلى في الكتابات العربية المعاصرة التي تحدثت عن المثقف وتطرّقت إليه بشكل من الأشكال، فما إن تجد كتابًا يتحدث عن المثقف إلا ويستبق إلى الذهن نقد المثقف، وذلك نتيجة طغيان هذه النزعة الناقدة في هذه الكتابات.

ويكاد هذا النقد يمتد إلى كل ما يتصل به المثقف من علائق ووظائف وأبعاد، بحيث لا نجد هامشًا أو زاوية لم يصل إليها النقد، من المثقف نفسه قبل غيره، وكأن الأصل هو نقد المثقف في كل شيء، حتى بات هذا النقد أسهل شيء عند المثقف، من ناحية تصوره، والقيام به، والإشارة إليه، والتفنن في الحديث عنه.

ومن المجالات التي يمتد إليها النقد ويتركز عليها، منها المجال الاجتماعي، فهناك نقد من جهة علاقة المثقف بالمجتمع، وهي

---

* - باحث ومفكر من المملكة العربية السعودية رئيس تحرير مجلة «الكلمة».

العلاقة التي طالما أسرفت الكتابات العربية في الحديث عنها، والإشارة إلى صورها وأشكالها، وكشفت عن قيمتها وضرورتها، ولم تهمل جانبًا إلا وأشارت إليه، ولكن من دون أن تحدث في هذه العلاقة أمرًا أو تغيِّر شيئًا. فليس هناك مثقف لم ينتقد المثقف من هذه الجهة، لأنها من أكثر الجهات نقدًا ووضوحًا للنقد، ومن أشد ما يعترض صورة المثقف ناظرًا له من ذاته، ومنظورًا إليه من المجتمع.

وفي المجال الفكري، هناك نقد للمثقف من جهة علاقته بالمعرفة، وهي العلاقة التي طالما كان المثقف شكاكًا في النظر إليها، فليس معروفًا عن المثقف عند المثقف أنه شديد التعلق بالمعرفة، والإخلاص لها، والتفاني من أجلها، والعشق في طلبها، والصبر والثبات في الدفاع عنها. ونادرًا ما تجد مثقفًا يقنع بمثقف من هذه الجهة، ونادرًا ما تجد مثقفًا يمتدح مثقف من هذه الجهة، وإذا حصل فإن المدح يكون باهتًا في أكثر الأحيان، ونادرًا ما تجد مثقفًا يعترف بالفضل لمثقف من هذه الجهة، وإذا حصل فإن الاعتراف يكون منقوصًا في أكثر الأحيان، ونادرًا ما تجد مثقفًا يقرأ لمثقف في العلن وبقصد طلب المعرفة، كل ذلك لأن المثقف ينتقص أو يتعمد الانتقاص في علاقة المثقف بالمعرفة.

وفي المجال الأخلاقي، هناك نقد للمثقف من جهة علاقته بالقيم، وهي العلاقة التي من أكثر ما تعرض صورة المثقف إلى الاهتزاز، ولعل من الصعب على مثقف أن يمتدح المثقف من هذه

الجهة، لأنه أعرف بالمثقف من غيره، وأكثر دراية بباطنه وظاهره، فهو يعلم أن من السهولة على المثقف الانتفاع بثقافته، والمتاجرة بمعارفه، والمقاولة على أفكاره حسب تعبير الدكتور محمود عبد الفضيل أستاذ الاقتصاد السياسي بجامعة القاهرة، والذهاب مع الريح أينما ولت واتجهت تبحثًا عن الخراج.

وفي المجال السياسي، هناك نقد للمثقف من جهة علاقته بالسلطة، وهي العلاقة التي تضع المثقف على المحك، فهناك المثقف الذي هو سليل ما عرف في التراث الإسلامي بكاتب السلطان، وهي الصورة التي يسعد بها البعض، ويتوسل إليها البعض، ويفاخر بها البعض، طلبًا للجاه والمال والرفاه، إلى غير ذلك من ميادين ومجالات وأبعاد.

هذه هي صورة المثقف في خيال المثقف نفسه، يتحدث عنها وهو ينتمي إليها، وهي الصورة التي لا يفارقها ولا تفارقه، وتفعل فعلها في عقله الباطن والظاهر، تسيء إليه ويعلم أنها تسيء، تنتقض منه ويعلم أنها تنتقض!

فماذا يريد المثقف من هذا النقد الذي يعلم أنه يرتد عليه؟

فهل يتعمد المثقف أن يسيء إلى صورته بنفسه من حيث يعلم أو لا يعلم؟

أم أنه يريد أن يحسِّن صورته بهذا النقد الصارم؟ وهل حسَّن صورته فعلاً؟

أم أنه تعبير عن غضبه، ونقمة على ذاته، واستنطاق لشعوره

بالإحباط أو الاكتئاب أو انسداد الأفق؟ أم أنه غير ذلك؟ والمثقف هو من يعلم ذلك.

٢ -صورة المثقف عند إدوارد سعيد

مع ما تعرّضت إليه صورة المثقف في المجال العربي من اهتزاز وتشوه وتراجع، ظهرت بعض المحاولات الفكرية والنقدية التي حاولت تصحيح هذه الصورة، وقلبها إلى صورة أخرى بديلة، ودفع المثقف إلى تقمص هذه الصورة البديلة وتمثلها، والتعبير والدفاع عنها، والعمل على تعميمها، لكي يستعيد المثقف عافيته المفقودة، وثقته المنقوصة، ومهمته المهجورة.

وقد تعددت هذه المحاولات وصفًا وصفة، وتباينت فيها وجهات النظر واتجاهات التفكير، وذلك بحسب تكوينات الفهم لطبيعة أزمة المثقف ومحنته النظرية والعملية، الفكرية والاجتماعية، الذاتية والموضوعية.

ويكشف هذا التعدد في هذه المحاولات عن التعقيد الذي يحيط بهذه الأزمة، وأنها أزمة مركبة تتعدد في داخلها الأبعاد وتختلف، فلا ينبغي النظر إليها من زاوية أحادية أو بطريقة أحادية.

وهذا يعني أننا أمام صور متعددة لتصحيح صورة المثقف، ولسنا أمام صورة واحدة لها صفة التوافق والثبات والإجماع، ولعل من الصعب إن لم يكن من المستحيل الوصول إلى صورة إجماعية واحدة متحدة، لأن المثقف ميال بطبعه إلى الجدل، ونزاع إلى

التعدد والاختلاف، وعصي على التقولب والاندماج، وليس هناك ضرورة أساسًا لمثل هذه الصورة الإجماعية الواحدة المتحدة.

ومن هذه المحاولات في المجال العربي، ومن أبرزها وألمعها محاولة الناقد الفلسطيني إدوارد سعيد في كتابه *صور المثقف* الصادر في طبعته الإنجليزية سنة ١٩٩٤م، وفي طبعته العربية سنة ١٩٩٦م، وهو في الأصل محاضرات مقدمة سنة ١٩٩٣م لبرنامج محاضرات ريث الذي يقام سنويًا في لندن بإشراف هيئة الإذاعة البريطانية، وتناوب على تقديمه فلاسفة ومفكرون بارزون في الغرب، منذ أن افتتحه الفيلسوف البريطاني المعروف براتراند رسل سنة ١٩٤٨م، ويُعدّ إدوارد سعيد أول مفكر عربي يدعى لهذا البرنامج.

في هذا الكتاب قدم إدوارد سعيد مناقشة نقدية ثرية كعادته في مؤلفاته، تتبع فيها أبرز الكتابات والأعمال الفكرية والنقدية المؤثرة التي ناقشت مفهوم المثقف وصوره وتمثلاته الفعلية على اختلاف وجهات نظرها ومنظوراتها، نقدًا أو دفاعًا أو تشكيكًا، ومركزًا بصورة أساسية على كتابات المفكرين الغربيين، ابتداء من الفرنسي جوليان بندا صاحب كتاب *خيانة المثقفين* الصادر سنة ١٩٢٧م، الذي قدّم فيه تهجمًا لاذعًا للمثقفين الذين يتخلون عن رسالتهم، ويعرضون مبادئهم للشبهة، وتوقفًا مع المفكر الإيطالي أنطونيو غرامشي وكتابه *دفاتر السجن*، وصاحب مفهوم المثقف العضوي، مرورًا بشريحة ممن ينتمون إلى العقود الأخيرة من القرن العشرين.

وقد ظل إدوارد سعيد يقلّب وجهات النظر في كتابات هؤلاء عن صور المثقف وتمثلاته، بحثًا عن الصورة التي يؤمن بها، وتتجلى فيها حسب رأيه صورة المثقف الحقيقي، منطلقاً من خلفية يعبر عنها بقوله إن ثمة خطرًا ناجمًا عن احتمال اختفاء وجه المثقف أو صورته في خضم بحر من التفاصيل، واحتمال تحول المثقف إلى مجرد مهني آخر، أو أحد الوجوه في تيار اجتماعي ما.

ونقدًا لهذه الصورة، وتشكيكًا فيها، وتفكيكًا لها، حاول سعيد التمسك بصورة مغايرة للمثقف، والإصرار على التمسك بهذه الصورة، والدفاع عنها بكل بلاغة أخلاقية، وتتحدد هذه الصورة في اعتبار أن المثقف هو فرد له في المجتمع دور علني محدد لا يمكن تصغيره إلى مجرد مهني لا وجه له، أو عضو كفوء في طبقة ما لا يهتم إلا بأداء عمله، فالحقيقة المركزية كما يعتقدها سعيد أن المثقف وهب ملكة عقلية لتوضيح رسالة، أو وجهة نظر، أو موقف أو فلسفة أو تجسيد أي من هذه، أو تبيانها بألفاظ واضحة لجمهور ما.

ويرى سعيد أن هذا الدور له محاذيره، ولا يمكن القيام به في نظره من دون شعور المرء بأنه إنسان مهمته أن يطرح علنًا للمناقشة أسئلة حرجة، ويكون شخصًا ليس من السهل على الحكومات أو الشركات استيعابه، وأن يكون مبرر وجوده تمثيل كل تلك الفئات من الناس والقضايا التي لا تنسى ويغفل أمرها على نحو روتيني.

هذه هي صورة المثقف التي حاول سعيد الدفاع عنها مع نهاية القرن العشرين، تتميمًا وتأكيدًا لرؤية جوليان بندا وغرامشي في بداية القرن العشرين.

٣ -صورة المثقف عند محمد عابد الجابري

حين توقف الدكتور محمد عابد الجابري أمام مفهوم المثقف في كتابه *المثقفون في الحضارة العربية. محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد* الصادر سنة ١٩٩٥م، وجد أنه أمام مفهوم ضبابي في الخطاب العربي المعاصر، على رغم رواجه الواسع، فهو لا يشير في نظره إلى شيء محدد، ولا يحيل إلى نموذج معين، ولا يرتبط بمرجعية واضحة في الثقافة العربية الماضية والحاضرة.

وعلى هذا الأساس، اعتبر الدكتور الجابري أن مشكلة مفهوم المثقف في النطاق العربي لها علاقة بمسألة المرجعية الثقافية، وهي المسألة التي اتخذ منها الجابري منطلقًا وإطارًا في معالجة مفهوم المثقف، حيث افتتح كتابه السالف الذكر بمقدمة عنوانها (المثقفون العرب ومسألة المرجعية).

وبهذا يكون الجابري قد أضاف مدخلاً مهمًا وجديرًا بالنظر في تحليل مشكلة مفهوم المثقف في نطاق الثقافة العربية، إلى جانب المداخل الأخرى التي جرى ويجري الحديث عنها في الكتابات العربية المعاصرة.

ولتأكيد رؤيته استند الجابري إلى ثلاث ظواهر، كشفت له

انفصال مفهوم المثقف عند المثقفين عن مسألة المرجعية، هذه الظواهر هي:

أولاً: إن مفهوم المثقف بقي غريبًا رغم انتشاره الواسع، لأنه نقل إلى العربية من الثقافة الأوروبية، ولم تتم تبيئته بالصورة التي تمنحه مرجعية محددة في فضائنا الثقافي، فالذين يستعملونه عن علم وهم قلة في نظر الجابري، ينشدون إلى مرجعيته الأوربية، ويعطونه معنى من هناك في خطابهم العربي، وهو معنى غريب عن الفضاء الثقافي العربي لكونه يرتبط بظروف تاريخية تقع خارج التاريخ العربي.

ثانيًا: يرى الجابري أن أغلب المثقفين يستعملون مفهوم المثقف عن غير علم، والغالب على هؤلاء أن ما يتصورونه من هذا المفهوم لا يتجاوز حروف (ث. ق. ف)، بمعنى أن الصورة الكتابية والصوتية لكلمة مثقف هي الشيء الوحيد الملموس الذي يرتبطون به عند استعمالهم هذا اللفظ.

ثالثًا: هناك قطاع من المثقفين العرب في نظر الجابري لا يستعملون مفهوم المثقف البتة لكونه لا يرتبط بمرجعيتهم الثقافية، وهو بالنسبة إليهم بضاعة أجنبية، ويقصد الجابري بهؤلاء أساتذة وخريجي المعاهد التي تحتل الدراسات التراثية فيها المقام الأول، والتي تطلق على أعضائها أسماء تراثية ذات مرجعية في الثقافة العربية الإسلامية مثل (الشيخ، الفقيه، العالم).

ونتيجة لهذا الوضع، يعتقد الجابري أن الإنسان العربي الذي

بقي يوصف بأنه مثقف ويتحدث عنه بوصفه كذلك، لا يتعرف إلى نفسه بوضوح، لا يعرف لماذا يوصف بهذا الوصف، ولا يدري هل يقبله أو لا يقبله.

وعند النظر في هذا الموقف، يمكن القول أنه جاء متأخرًا في ساحة المثقفين، وتنبّه إليه الجابري أيضًا متأخرًا، ولكن أهميته تكمن أنه جاء من الجابري نفسه.

ويفتح هذا الموقف أسئلة متشعبة وملحّة ستظل تطرق ذهن كل مثقف من داخلة أو من خارجه، منها سؤال العلاقة مع الهوية، والعلاقة مع الدين، والعلاقة مع التراث، والعلاقة مع التاريخ، والعلاقة مع الأمة وهي الأسئلة المكونة لمسألة المرجعية.

وما لم يذكره الجابري وهو يعلم به قطعًا، أن هناك شريحة غير قليلة من المثقفين تعلم علم اليقين أن مفهوم المثقف لا يرتبط بصلة مع المرجعية الثقافية العربية والإسلامية، ولا تريد أساسًا هذه الرابطة، ولا تسعى إليها، بل وتتعمد القطع والقطيعة معها، ولا ترى في ذلك منقصة أو مثلبة، كما لا ترى ما يراه الجابري نفسه من غربة أو ضبابية أو عدم دراية لمفهوم المثقف، أو أنه لا يتعرف على نفسه بهذا الوصف.

ولا يخفي هؤلاء ارتباط مفهوم المثقف بمرجعيته الأوربية، بل يشهرون ذلك علنًا وصراحة، منطلقين من خلفية أن مفهوم المثقف ينتمي إلى عالم الحداثة ولا ينتمي إلى سواه، ويرتبط بالمعرفة الحديثة ولا يرتبط بسواها، ويعيش مع المدنية ولا يعيش بسواها،

وهـذا مـا يتحـدّد بنظـر هـؤلاء في المرجعيـة الأوروبيـة ولا يتحـدد بسواها.

ولا شـك أن هـذا الموقـف لا يخلـو مـن سـحر وافتتـان ومبالغـة، وكان على هذا الموقف يومًا ولفترة طويلة الدكتور زكـي نجيب محمـود وانقلـب عليـه فيمـا بعـد، وشـرح ذلـك ببلاغـة كـبيرة في مقدمة كتابه (تجديد الفكـر العربـي) الصـادر سنة ١٩٨١م، إلى جانب آخرين أيضًا.

مـع ذلـك يمكـن القـول إن هنـاك قـدرًا مـن المبالغـة وقـع فيهـا الجابري نفسه، حين صوّر أن الغالـب على المثقفين أنهم لا يعلمـون مـن مفهـوم المثقـف إلا تلـك الحـروف المتقطعـة لكلمـة مثقـف، ولا أظن أن المسألة في إدراك المثقفين أو الكثيرين منهم بهذا المستوى من التصوير أو التبسيط.

٤ - صورة المثقف عند علي حرب

مـن الممكـن القـول أن أشـد نقـد تعـرّض لـه المثقـف في المجـال العربـي، هـو النقـد الـذي سـطره المفكـر اللبنـاني علـي حـرب في كتابه: *أوهام النخبة أو نقد المثقف* الصـادر سنة ١٩٩٦م، وأثـار بـه حفيظـة شـريحة مـن المثقفين، وانفعـل البعض منـه غضبًا، وفـتح جـدلاً وسـجالاً حـادًا وقاسـيًا في وقتـه، يعـادل حديـة وقسـوة النقـد الذي فتحه الكتاب.

فهناك من وجد في هذا النقد إعلانًا لهزيمة المثقف، وهناك من

وجد فيه إعلانًا لموت المثقف أو لنهاية المثقف، وهناك من وجد فيه نقدًا جذريًا غير مسبوق للمثقف، إلى جانب من وجد فيه أنه الأكثر إثارة للنقاش حول وضعية المثقف، أو أنه محاولة للبحث عن دور فعال للمثقف، أو أنه محاولة لخلق واقع فكري جديد.

ومن جهته لا ينفي علي حرب شدة النقد وقسوته الذي فتحه على المثقف، وأعلن ذلك بنفسه صراحة وبوضوح كبير، في مقدمة الطبعة الثانية من الكتاب الصادرة سنة ١٩٩٨م، بقوله أعترف بأنني فتحت النار على المثقف بقدر ما أقدمت على فتح ملف المثقفين أمام النقد والمساءلة، وذلك في محاولة منه لتغيير وجهة النقد، من وجهته التي تركز على ما هو خارج المثقف، إلى وجهته التي تركز على ما هو داخل المثقف، أي على المثقف نفسه فكرًا وممارسة، خطابًا ومؤسسة.

وبمعنى من المعاني أن حرب أراد هذه المرة من المثقف أن يكون متهمًا ويضعه في قفص الاتهام، وليس قاضيًا أو مرافعًا كما يضع نفسه دائمًا، ولا يرى نفسه في غير هذا الموقف، الذي تغيَّر هذه المرة.

وأراد منه أن يكون مُحاسَبًا ومُساءَلاً وتعدد أمامه وفي محضره قائمة الأخطاء والعثرات، لا أن يكون كعادته وكما يحلو له محاسب ومسائل لغيره، على تعدد هذا الغير وتنوعه فردًا ومجتمعًا، سلطة ودولة، أمة وحضارة.

وأراد منه أن يكون ناظرًا إلى ذاته، وإلى عدّته الفكرية

وخطابه ودوره وعلائقه، لا أن يكون ناظرًا لغيره، متسترًا على ذاته وكاشفًا عيب غيره، منزهًا لذاته منقصًا لغيره، يرى الحاجة دائمًا إلى إصلاح غيره، ولا يرى الحاجة إلى إصلاح ذاته، يسمع صوته للغير ولا يسمع لذاته، ويتخيل نفسه في صورة متعالية دائمًا، وكأنه القابض على الحقيقة، والمبشر بالعدالة، والممثل للحداثة، ولا يمرّ التنوير إلا على يديه.

في حين يرى حرب أن المثقف بات مسؤولاً بالدرجة الأولى عن طرح الأسئلة على نفسه، بعد كل ما حصل من تعثر أو فشل وإخفاق للشعارات والمشروعات، وبعد ما مورس من الاستبداد والتفاوت، والحجب باسم الحرية والعدالة والحقيقة.

ولا يعقل في نظر حرب أن يستمر المثقف في تقديم نفسه بوصفه يمثل النخبة الواعية والمستنيرة أو المتقدمة، ممارسًا وصايته على القيم والحقوق والحريات، في حين أنه أصبح الأقل فاعلية وحضورًا على المسرح، قياسًا على بقية الفاعلية الاجتماعيين كرجال الإعلام والأعمال، أو كمهندسي الحواسيب، ومصممي الأزياء، أو كلاعبي الكرة ونجوم الطرب، وأخيرًا لا مهرب من إجراء فحص نقدي يطال شبكة المفاهيم التي يقرأ من خلالها المثقف الأحداث من حوله، وبالتالي عليه أن يعمل على تغيير صورته عن نفسه، بحيث يعيد ابتكاره لدوره، حتى لا يعيد العقم والهشاشة أو الهامشية.

واللافت في الأمر، أن حرب يرى في هذا النقد القاسي دفاعًا

عن المثقف، عند من يعرف معنى النقد والكلام، لا عند من تسيطر عليه هواجسه النضالية، أو عند من يستغرق في تهويماته الأيديولوجية، وهو سعي في نظره لاستعادة المثقف سلطته بممارسته لفاعليته الفكرية، وذلك عبر إعادة صوغه لمفهومه عن السلطة، أو عبر إعادة ابتكاره لدوره.

وما يريد أن ينتهي إليه حرب في رؤيته لتصحيح صورة المثقف، هو القول بفشل وانتهاء المثقف المناضل أو التقدمي، والدعوة لولادة المثقف المفكر الذي ينهض بمهمة إنتاج الأفكار وبناء المفاهيم، وهي المهمة التي يستطيع المثقف النهوض بها دون غيرها حسب رؤية حرب، ولهذا فهو يعلي من دور المفكر الذي يعمل على جبهة الممتنع في نطاق الفكر، على دور المثقف الذي يعمل على جبهة الممنوع في نطاق الواقع.

ومن الواضح أن هذه الرؤية تتفارق كليًا وتتعارض مع الرؤية التي دافع عنها بشدة إدوارد سعيد في كتابه *صور المثقف*، بدافعه عن الوجه الأخلاقي للمثقف الشجاع والمستقل، وهو المفكر والأديب والأكاديمي، ولم يكن رجل سياسة، أو زعيمًا حربيًا، أو بوصفه منخرطًا في النضال اليومي، أو قائدًا عماليًا أو نقابيًا أو غير ذلك.

وإذا كنا نتفق مع حرب في حاجة المثقف إلى النقد الذاتي، وأن يكون موضوعًا للنقد، فإن من الصعب الاتفاق معه في كامل رؤيته، وأكثر ما يجعل رؤية حرب موضع نقد وشك هو حال المجتمعات العربية الراهنة!

٥ -صورة المثقف عند عبدالإله بلقزيز

لعل كتاب الدكتور عبدالإله بلقزيز *نهاية الداعية.. الممكن والممتنع في أدوار المثقفين* الصادر سنة ٢٠٠٠م، هو الأكثر تشبهًا وتناغمًا مع كتاب علي حرب *أوهام النخبة أو نقد المثقف*، وكنت أظن أنني لن أجد كتابًا في المجال العربي، يمكن أن يتناغم مع رؤية علي حرب الذي اعترف أنه فتح النار على المثقف، وبالغ وأسرف في نقده، وظل يلاحقه بأوصاف الفشل والعجز والإخفاق، وأعلن هزيمته ونهايته، ومبشرًا بنمط المثقف المفكر الذي يشتغل بعالم الأفكار، وبهذا العالم يتحدد دوره في نظره.

ويصنف كتاب بلقزيز على نسق الكتابات التي حاولت نقد المثقف لتغيير رؤية المثقف إلى ذاته ودوره، ولتصحيح صورته. النقد الذي جاء مكثفًا في الكتاب، وممتدًا من بدايته إلى نهايته، وبدون توقف أو سكون، وناظرًا إلى علائق المثقف بالمعرفة والمجتمع والسلطة، وبدرجة ما هو أقل قسوة وعنفًا من كتاب علي حرب *نقد المثقف*، الكتاب الذي لا يكاد يفوقه ويتقدم عليه كتاب آخر في قسوته وعنفه.

وكان من اللافت حصول هذا المستوى من التناغم والاشتراك في الرؤية والأطروحة بين الكتابين، والذي يتحدد من حيث وجهته العامة في أمرين، الأمر الأول ويتصل بنقد ما أسماه علي حرب بأوهام النخبة، أو ما أسماه بلقزيز بنهاية الداعية. الأمر الثاني ويتصل بتحديد مجال ودور المثقف، على أن لا يتعدى حدود الفكر والمعرفة.

وبشأن الأمر الأول، يرى بلقزيز أن مع هذا التحول المثير في مكانة المثقف العربي الحديث ووظيفته، ما زال يتقمص دور الداعية، ويسند لنفسه أدوارًا تتخطى قدرته الفعلية على الأداء والإنجاز، وما زال أسير صورته عن نفسه التي رسمتها له ظروف لم تعد موجودة، إنه الوهم في نظره يملك عليه الوعي، ويدفعه إلى تقمص شكل من أشكال التعويض النفسي، مكابرة لفظية ضد الاعتراف بالهزيمة، هزيمة صورة ودور.

وقد ظل بلقزيز ينبِّه لهذا الموقف، ويذكر به، ويرجع إليه، في دلالة على تمسكه بهذا الموقف، وحرصه على إلفات النظر إليه، وبه ختم كتابه حيث يقول في الأسطر الأخيرة: بات على مثقف اليوم أن يعيد تعريف دوره من النقطة التي يقف عليها، وأن يتخلى عن أحلامه الإمبراطورية في أن يكون نبيًا جديدًا يحمل رسالة للعالمين، وفي أن يكون قائدًا تاريخيًا يهدي الشعب والأمة إلى مستقبل مفروش بالورود، وفي أن يكون زعيمًا سياسيًا تنقاد لرأيه الجموع، وباختصار حسب قوله في أن يكون ما ليس ممكنًا له أن يكون.

وبشأن الأمر الثاني، الذي يحدّد دور المثقف بحدود الفكر والمعرفة، يرى بلقزيز في نهاية مقدمة كتابه أن آن للداعية أن يصمت، وأن ينسحب من المشهد بهدوء، كي يفسح فرصة للمثقف الباحث كي يزود ثقافته بمساهمة هي في عوز إليها، آن له أن يحترم دوره، وأن لا يتعدى حدود المعرفة، فلا يظلم نفسه.

وحين يريد بلقزيز أن يعرّف المثقف فإنه يعرّفه من جهة علاقته

بالمعرفة، وحسب قوله إننا نعرف المثقف بوصفه منتجًا للمعرفة، ويعتقد أن وظيفة إنتاج المعرفة هي وظيفته الأصل، وما عداها هو في عداد ما يضيفه إلى حرفته.

وكما اعتبر علي حرب من قبل أن نقده القاسي للمثقف هو دفاع عنه، كذلك اعتبر بلقزيز أن كتابه ليس هجومًا على المثقف كما قد يظن، بل هو دفاع صادق عنه ضد الداعية أو بقايا الداعية فيه.

وهذا هو الغريب في الأمر، أن يجري التعامل مع المثقف بهذه الطرقة من النقد التي تطيح به، ولا تبقي له من باقية، وتعلن هزيمته، وتبشر نهايته، ومن ثم نشهر القول بأن هذا دفاع عن المثقف، وهل بقي منه شيء للدفاع عنه!

وهل يحتاج المثقف إلى كل هذا النقد الذي لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، حتى ينتبه إلى ذاته، ويتعرف على نفسه، ويجدِّد صورته، ويعيد النظر في دوره ومهمته!

وهل سيفكر المثقف بدور بعد كل هذا النقد؟ أم أنه سيتأسف على نفسه لكونه في عداد هؤلاء الذين يحملون هذا الوصف، أو هذه التسمية، ويمكن أن يتبرأ من هذا الوصف، ويتخلى عنه، ويصمّ أذنيه عند التقول به والحديث عنه، ويمكن أن يلعن حتى الحروف الذي تتكون منه. مسكين هذا المثقف الذي نستضعفه، ونستقوي عليه ونمزقه شر تمزيق، ونقتله ألف مرة، ومن ثم نقول هذا دفاع عن المثقف، ولا أظن أن المثقف يريد أن يقبل هذا الدفاع!

بمناسبة إعلان مدينة النجف الأشرف عاصمة للثقافة الإسلامية عام ٢٠١٢م

رفض الطائفية

في الخطاب الشعري النجفي المعاصر

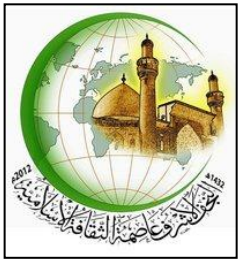

شهد العراق خلال الأعوام الأخيرة حربًا اتخذت طابعًا طائفيًا أدمت قلوب المسلمين، وتنادى فيها الغيارى للحدّ من هذه المأساة المؤلمة، لكنّ ثمة صيحات تعالت تلقي باللائمة فيما حدث على هذه الطائفة أو تلك، وأصحاب هذه الصيحات ينطلقون من فهم طائفي للأحداث. وسواء كان هؤلاء مخلصين في موقفهم، أوهم من أسباب هذا الصراع الطائفي والمحرّك له، فإنّهم شوّشوا على الأذهان، وصوّروا ما يجري على أنه تصفية حسابات طائفية، واتجهت قوى إقليمية ووراءها عالميّة، إلى القاء اللائمة على «الشيعة»، وتوالت التنديدات بالشيعة أولاً، ثم امتدت إلى التشيّع، واتسعت لتُدين «إيران» أيضًا!!

لا نبغي في هذا المقال الدخول في خلفيات هذا الصراع ومَنْ وراءه، فهذا يُدخلنا في البحث عن الاصطفافات الإقليمية والعالمية

في منطقتنا. بل نقتصر على إلقاء الضوء على الخطاب الشعري النجفي المعاصر في حقل رفض الطائفية، باعتباره ينطلق من العمق الشيعي ومن العمق الشعوري والوجداني لأتباع أهل البيت في بلاد الرافدين.

مواقف متعالية على الطائفية

نذكر بعض المشاهد المعاصرة التي تعالى فيها شيعة العراق على الطائفية، واتخذوا الموقف الرسالي الذي يفرضه عليهم دينهم.

حين اندلعت الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣هـ/١٩١٤م) انضمت الدولة العثمانية إلى الجبهة المعادية لبريطانيا وحلفائها. شيعة العراق كانوا قد ذاقوا الأمرّين من الحكم العثماني، والوالي العثماني مارس القتل والنفي بحقّهم كثيرًا، «ومع ذلك رأى علماء الدين وجوب الوقوف في وجه الانجليز، وأفتوا بوجوب الدفاع عن بيضة الإسلام، وقادوا المعارك في جبهات القتال، وخلفهم حشود العراقيين الذين هبوا تلبية لنداء الإسلام وفتوى العلماء»[1]، من العلماء الذين قادوا الثوار المقاومين: السيد محمد سعيد الحبوبي، وشيخ الشريعة، والسيد علي الداماد وغيرهم.

بعد أن انتصر الحلفاء، واحتلّ الجنرال «مود» البريطاني بغداد، أصدر هذا بيانًا خاطب فيه العراقيين قائلاً: «إن جيوشنا لم تدخل

١- حركة *الشعر في النجف الأشرف وأطواره* / ص ٨٣ .

مـدنكم وأراضـيكم بمنزلـة أعـداء قـاهرين، بـل منقـذين محررين»[1]. لكن أهل النجف كسائرالعراقيين لم تنطل عليهم هذه الفرية فراح شاعرهم محمد صالح بحرالعلوم ينشد (الديوان، ص ٦٧):

يقولون للتحرير جئنا وهم على عبودية الشرق المقيد أقبلوا
يظنون أن القصد يخفي وهذه فصول مخازيهم عيانًا تمثّل

ولـم يستسـلم النجفيـون لواقـع الاحـتلال بـل هبّـوا لمقارعتـه، فأسست طليعة منهم جميعة سرية يقودها عدد من العلماء منهم السيد محمد علي بحرالعلوم، والشيخ محمد جواد الجزائري[2]، وحدثت مواجهات دامية بين النجفيين والقوات البريطانية عام ١٣٣٦هـ. وعلى أثرها أعدم عدد من الثوار، ونفي بعضهم، وكان من المنفيين إلى «خرمشهر» في إيران الشيخ محمد جواد الجزائري الذي أنشد في منفاه قصائد كثيرة منددة بالبريطانيين ومحرّضة على الثورة ومنها قوله[3]:

مـددنا بصـائرنا لا العيونـا وفزنـا غـداة عشـقنا المنونـا
عشـقنا المنـون وهُمنـا بهـا وعِفنـا أباطحنـا والحجونـا
وقمنـا بهـا عزمـات مضـات أبـت أن نسـيس الـردى أو نلينـا
هي الهمم الغرّ لم ترضَ بالسماكين مهمـا اسـتفزّت قرينـا

١- الحسيني ،عبد الرزاق، *العراق قديمًا وحديثًا*، ص ٣١.
٢- حركة الشعرفي النجف الاشرف وأطواره *ديوان الجزائري*، ص ٨٨.
٣- الجزائري، محمد جواد، ديوان الجزائري ، ص ١٦.

رعينـــا بهـــا ســـنة الهاشـــمي نبـــي الهـــدى، والكتـــاب المبينـــا
وصُـــنّا كرامـــة شـــعب العـــراق وكنـــا لعليـــاه حصـــنًا مصـــونا
وخضـــنا المعـــامع وهـــي الحِمـــام نـــدافع عـــن حـــوزة المســـلمينا
وجحفـــل أعـــدائنا الإنجليـــ ـــزيمـــلأســـهل الفـــلا والحزونـــا
ليـــهجـــم شعـــبَ بنـــي يَعـــربٍ ليشفـــى أحقـــاده والضغـــونـــا

وحـاول البريطـانيون استرضـاء مراجـع النجـف، ولكـنهم فشـلوا وأفتـى كبيـرهم آنئـذ الإمـام الشـيخ محمـد تقـي الشـيرازي بوجـوب المطالبة بالحقوق، وجواز التوسل بالقوة الدفاعية[1].

وتصـاعدت الثـورة وبلغـت ذورتهـا عـام ١٩٢٠، وسـميت بثـورة العشـرين، واضـطر البريطـانيون إلى التنـازل، والاتفـاق علـى تأسـيس حكـم عربـي فـي العـراق يكـون فيـه فيصـل بـن الحسـين ملكًـا. واستبشـر العراقيـون بهـذا النصـر، ومـنهم النجفيـون، وراحـوا ينشـدون القصائد في احتفالات تتويج الملك الجديد، ثم خابت آمالهم حين وجـدوا أن حكومـة فيصـل تتلقـى الأوامـر والتعليمـات مـن مكتـب الحـاكم العسـكري الإنجليـزي، وبـذلك توالـت الاعتراضـات ومظـاهرات الاحتجـاج وتقـديم قوافـل الشـهداء دفاعًـا عـن الـوطن ومصالح العراق.

هذه الروح الوطنية النجفية التي تعالت على الطائفية كانت مقرونة بروح إسلامية ترى في كل ماحدث في العالم الإسلامي هو

١- م.ن، ص ٩٠.

جزء من أحداثها. يشهد على ذلك موقف شعرائها من حركة تأميم النفط في إيران بقيادة آية الله الكاشاني والدكتورمصدق، ومن ثورة الجزائر، والعدوان الثلاثي على مصر. كما أنّ لفلسطين ديوانًا ضخمًا في الشعرالنجفي الحديث والمعاصر.

مواقف داعية إلى نبذ الطائفية

الاختلافات الفكرية والفقهية من طبيعة البشرومن طبيعة تعامل الإنسان مع النصوص والأفكار، وهو ثراء بشري، وكل تطوّر في تاريخ المسلمين إنّما حدث نتيجة تلاقح الأفكاروالآراء والتيارات المختلفة. غيرأن الذي يحوّل هذه الاختلافات الإيجابية إلى خلافات سلبية و إلى نزاعات مذهبية، هو: ١- الجهل ٢- عامل قوى الهيمنة، وهذا العامل الثاني يسمونه العامل السياسي، وأنا أجلّ كلمة «السياسة» عن استعمالها في هذا المقام، لأنّ السياسة تعني رعاية أمورالأمة، وهي غيرالصراع على السلطة وممارسة الأساليب القذرة للهيمنة والسيطرة.

كلاالعاملين كان لهما في العصرالحديث دورفي إثارة النعرات الطائفية، غيرأن النجف باعتبارها مركزالإشعاع العلمي في العراق كانت سبّاقة في توعية الأمة على خطرالطائفية وتحذيرها من الوقوع في فتنة يريد الطامعون إشعالها لفرض هيمنتهم وتسلطهم.

والواقع أن الاستعمارالبريطاني بشكل خاص له خبرة واسعة في إثارة النعرات الطائفية في العراق وفي العالم الإسلامي عامة.

والعراقيون خبروه بتدخله في الشؤون الصغيرة والكبيرة حتى إذا رأوا أدنى فتنة قالوا: إنها من فعل «أبي ناجي» ويقصدون به الإنجليز.

والشعرالنجفي له مواقف مشرّفة من الفتنة الطائفية منها قول الفرطوسي[1]:

لا طائفيـــة، والإســـلام يربطنـــا ... من الإخاء بقربى تفضل النسبا
فالطائفيـــة نـــار مـــن يؤجّجهـــا ... لابد أن يغتدى يومًا لها حطبا
وقـــوة بيـــد المســـتعمرين بهـــا ... تغـزو الـبلاد وتستولي بها غلبا
وحربة في صميم الشعب يغرسها ... مفـرِّقٌ ينشـد التضـليل والحربـا
لا طائفيـــة والتوحيـــد جامعـــة ... أضحت بها الوحدة الكبرى لنا نسبا
الـدين والـدم والقـرآن معجـزنا ... بهـا نعـانق إخـــوانًا لنا عـربـا

والشاعريعبّرعن انتمائه الرسالي باعتباره الرصيد الذي يحول دون التعصّب المذهبي، ويشيرإلى دورالمستعمرفي إثارة النعرات الطائفية.

وينطلق شاعرآخرمن الروح الرسالية نفسها في الدعوة إلى اليقظة لاستعادة الدورالحضاري للأمة، وبهذه اليقظة، وبهذه العودة تستطيع الأمة أن تصبح أمة واحدة. يقول الشيخ جعفرالهلالي[2]:

يا أمة القرآن هل من يقظة ... لنعيد ماضينا المجيد المشرقا
ويسودنا الإسلام في دستوره ... حكمًا به عدل الشريعة طبّقا
ويلمّ شملَ المسلمين بوحدة ... لم تلق فيها الفوضوية مرتقى
و إذا المحبة والصفاء يعمنا ... وأخوّة في الدين تعصف بالشقا

١- الفرطوسي، *ديوان الفرطوسي*، ص ١٤.
٢- حركة الشعرفي النجف، ص ٧٤.

العناصر النفسية

في منهج تدريس النحو العربي

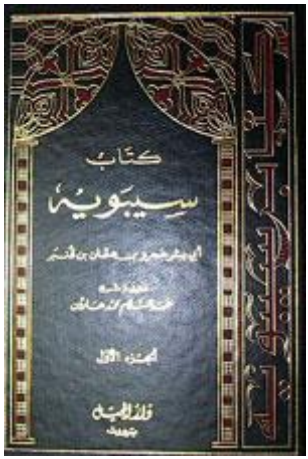

منهج التدريس في النحو لابدّ أن يأخذ بنظر الاعتبار الإطار النفسي والسمات **الجمالية والغائية والشمولية**.

الجمالية

الإنسان مفطور على حبّ الجمال، وكلّما كان الإطار الذي يُقدَّم فيه النحو أقرب إلى الجمال كان النحو محببًا أكثر. والجمال فيه العناصر الثابتة المرتبطة بالفطرة، والعناصر المتغيرة المرتبطة بالزمن.

ولابد من مراعاة الجانبيين، ولقد كان الأقدمون على غاية من الاهتمام بالإطار الجمالي في تقديم النحو خاصة للمبتدئ والشادي، اهتموا فيه بالجانب الجمالي من العرض وفق ما يتناسب وعصرهم. وقديمًا في تراثنا دعا الأدباء إلى الاهتمام بالعنصر الجمالي في تقديم ما يراد تقديمه، وذهبوا إلى أن طبيعة الإنسان هي تغليب العين على القلب أو العقل، وأن الإنسان قد يميل إلى ما تسرّه نفسه حتى ولو كان دون ذلك مهلكة بل حتى إذا انطوى على سم ناقع.

وهـذه مسـألة تربويـة هامـة تـدعو المـربين إلـى الاهتمـام بالجانـب الظـاهري مـن العـرض بمـا لا يقـل عـن الاهتمـام بـالمحتوى العقلـي والعلمي. يقول سهل بن هارون الإيراني المحتد والعربي المنشأ والثقافة واللغـة: «**والنـاس لعيـونهم أشـد تصـديقًا مـنهم لقلـوبهم، ولـو رفـع لأبصـارهم بعـض مـا تسـره نفوسـهم ثـم دعـا إليـه داع، ودونـه مهالـك جمة، لكان من يتورط تلك المهالك .وهو الجميل، والشارة الظاهرة، والريـاض الزاهـرة، فـلا عجـب لمـن رأى ظـاهر ذلـك، وجهـل باطنـه، فوصل أسباب الطمع إليه، ولكن العجب لمن فهم الباطن، فعلم أن تزوده منه سم ناقع فأكذب علمه وصدق عينه**»[1].

والتأكيد على العين لا يعني الاستهانة بعقل الإنسان، بل يعني انبهار الإنسان بشكل طبيعي بالجمال، وهو انبهار يكمن وراءه كل إبداع جمالي في ساحة التاريخ البشري.

وتدريس النحو يجب أن لا يهمل هذه الحقيقة في عرض المادة. لابد أن يسهم أهل الذوق والفن الرفيع في تقديم المادة النحوية سواء عن طريق المقروء أو المسموع أو المرئي. لابد أن يكون أصحاب الذوق الرفيع وراء إخراج كتاب النحو وتنظيم مواده وتسلسل فصوله، وهكذا وراء المادة النحوية المقدمة بالسبل الأخرى المسموعة والمرئية.

١- *كتاب النمر والثعلب*، لسهل بن هارون، منشورات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس ١٩٧٣، ص ٥١

الغائية

والغائية مسألة هامة في تقديم كل تراثنا، ومنه النحو، وغياب الغائية أدى إلى دخول دراستنا العربية بل والتشريعية في مسالك نظرية ليس لها على أرض الواقع مصداق، بل تحلّق في عالم الخيال، وجعل الاتجاه العام لهذه الدراسات لا يتجه نحو مقصد معين، من هنا كثرت المعالجات لأمور هي أقرب إلى الخيال، وكثر التمثيل بجمل لا ينطق بها الجن فضلا عن الإنس.

كل ذلك لغياب المقاصد والغايات في دراساتنا، بل انحراف المقاصد نحو نوع من الاستعلاء والتبجح والتفاخر العلمي، بدل أن يكون المقصد هو الناس بكل ما يحتاجونه في حياتهم من علاقات تفاهم وتعاون.

وجود الغائية في تدوين النحو يحذف الفضول ويحذف التمثيل بما لا ينطق به البشر، ويقلّص من التطرق إلى الاختلافات، ويجعل المادة النحوية متسلسلة متدرجة تدرجًا منطقيًا تتجه نحو غاية معينة هي تقويم اللسان.

وإذ ذكرت الغائية في العناصر النفسية لمنهج النحو، فلأنى أعتقد بأن المزاج النفسي الذي ساد عالمنا منذ الغزو المغولي حتى الآن أفقدنا إلى حدّ كبير الحركة نحو غاية محددة مرسومة في جميع مجالات حياتنا.

هذه المشاكل التي نعاني منها في حقل التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مردّها إلى عدم وجود الغائية وفقدان الأهداف الواضحة، وهذا النوسان بين المناهج الشرقية والغربية في حياتنا على

مختلف الأصعدة مرده إلى انعدام الأهداف المحددة. وهذه حالة نفسية تعتري كل أمة تصاب بصدمة كبيرة في مسيرتها، ولكن آن الأوان لأن نرسم الغايات والأهداف الواضحة المدروسة، ونخطط للوصول إليها في كل مجالات حياتنا ومن ذلك مجال النحو.

الشمولية

والشمولية لها أهميتها النفسية في إعطاء الهيكل العام الكامل للطالب في مادة النحو، كي ينظر إليه نظرته إلى الجسد الواحد المترابط عضويًا، ونظرته إلى الجملة التامة المفيدة.

عندنا في إيران مشكلة في هذا المجال ـ أرجو أن لا يكون لها نظير في العالم العربي ـ وهي عدم اكتمال الكتاب الدراسي خلال العام الدراسي، فالطالب يقرأ قسمًا من هذا الكتاب، وقسمًا آخر من كتاب آخر، دون أن يكوّن فكرة كاملة عن كل المادة النحوية، وهذه تؤثر نفسيًا في عدم وضوح المادة النحوية بهيكلها الكامل أمام الطالب. ولعل هذه الحالة غير موجودة في الحوزات العلمية، لأن الطالب في هذه الحوزات ملزم بإنهاء الكتاب قبل الانتقال إلى كتاب آخر، أما في الجامعات فالموجود غالبًا هو أن يقرأ الطالب شيئًا من *شرح ابن عقيل* ثم شيئًا من *مغني اللبيب* ثم شيئًا من *الكافية* وشيئًا من *الشافية*، دون أن ينهي دورة كاملة في كل منها.

لذلك أرى من المهم أن يكون أمام الطالب صورة متكاملة من أبواب النحو والصرف تتناسب مع مقدرته وسنه وهذه الصورة الشمولية لها تأثيرها النفسي الذي لا يخفى في استيعاب المادة النحوية.

الأسس النفسية في شخصية الأستاذ

أهمية شخصية الأستاذ في تقديم المادة الدراسية مسألة نفسية هامة لا تخفى، وفي حديثي سأتناول ما هو موجود في إيران، و إذا تجاوزت أحيانًا حدود الأدب في الحديث عن أستاذ اللغة العربية في إيران فإنما أمارس جلد الذات لأني أتشرف بأن أكون واحدًا منهم.

الجوّ السائد في شرقنا هو اتجاه الطلاب إلى المدارس كي يكون لهم في المستقبل شغل يرتزقون منه. ولذلك تكون الفروع المدرة لمزيد من الرزق هي التي يتنافس عليها المتنافسون. كليات الطب والهندسة تستقطب الأوائل ثم كليات العلوم البحتة ثم كليات الاقتصاد والحقوق وأخيرًا الآداب، وآخر فروع الآداب قسم اللغة العربية.

ولهذه الحالة العامة استثناءات . والاستثناءات ليست بقليلة لكنها لا تنافس الحالة العامة. والاستثناءات تكون في أولئك الذين يعشقون العربية لأسباب بيئية أو نفسية أو اعتقادية، فيتجهون إليها رغم إمكان دخولهم في الفروع الأخرى، بل هناك أمثلة عديدة في إيران من الذين تركوا كليات الهندسة واتجهوا نحو الآداب و إلى قسم اللغة العربية بسبب ظروف طوعية أو قاهرة، ويفخر كاتب السطور أن يكون منهم.

لكن الحالة العامة خطيرة، والخطر الأكبر فيها أن خريجي أقسام اللغة العربية عندنا في إيران غالبًا ما يصبحون مدرسين في الثانويات والضعف يسري من الأستاذ إلى الطالب لا علميًا فحسب بل نفسيًا أيضًا. فالمدرس الذي لا يعشق المادة التي يدرسها تتأثر حالته ظاهريًا وسلوكيًا وتعليميًا بذلك. وأحيانًا يشخص الطلاب

الأستاذ الجديد القادم إلى المدرسة أهو أستاذ اللغة العربية أم لا من مظهره وهندامه ولهم في ذلك نكات لا أستسيغ ذكرها.

وهذا الانطباع عن أستاذ اللغة العربية يشكل عقبة نفسية بين الطالب ومادة اللغة العربية عامة والنحو بشكل خاص لأنه أكثرها صعوبة وجفافًا.

ولنا في إيران تجربة جديدة نأمل نجاحها، وهي تشجيع الطلبة المتفوقين في الابتدائية والتوجيهية لدخول مدارس ثانوية مدعومة متخصصة في الآداب، اختير لها أفضل الأساتذة. وفي هذه المدارس التي تنافس أرقى المدارس الخاصة في إيران يتلقى الطالب تدريس الآداب واللغة الفارسية واللغة العربية بشكل مركز مدروس بأحدث التقنيات التعليمية، ويدخل عالم الكتابة والإبداع حسب كفاءته، ثم يتأهل للفروع الأدبية في الجامعة. وتبقى مشكلة الجامعة التي نود أن تصبح كليات الآداب فيها على مستوى طموح مثل هؤلاء الطلاب.

وحتى لا أخرج عن العامل النفسي في شخصية مدرس النحو أرى من الضروري تقديم المحفزات التي تستطيع أن تجتذب الطلاب المتفوقين إلى أقسام اللغة العربية، وأن يكون منهج إعداد أساتذة اللغة العربية مشتملاً على دروس في الثقافة المعاصرة والمعلومات العامة كي يرتبط المدرس بطلبته نفسيًا، ويوفر الأرضية اللازمة لتقبل المادة الدراسية.

الدراسات الفارسية في العالم العربي

مصر نموذجًا [1]

اللغة الفارسية والأدب الفارسي مما لا يستغني عنه كل باحث في التاريخ والحضارة والأدب. المستشرقون بمختلف أصقاعهم لهم اهتمامات كبيرة في هذا الحقل، فقد حققوا وترجموا ونشروا كتبًا ودواوين ورسائل باللغة الفارسية، من هنا كان من الطبيعي أن يكون للعرب مثل هذا الاهتمام، نرى ذلك اليوم في مصروالمغرب وتونس والمملكة العربية السعودية وسوريا والكويت وقطروالعراق وغيرها من البلدان العربيّة في إطارالجامعات ومراكزالأبحاث.

واضح أن التوجّه نحو اللغة الفارسية وآدابها ينطلق من وعي على أهمية التواصل العربي ـ الإيراني باعتباره مقدمة ضرورية لنهضة هذه الأمة. لذلك كان من الطبيعي أن يبدأ هذا التوجّه بشكل واضح في مصروسوريا باعتبارهما من أوائل البلدان العربية التي شهدت نهضة تستهدف استعادة عزّة الأمة وكرامتها.

ولما كان عنواننا يقتصرعلى مصرفسأذكرفي استعراض

١- أكثرالمعلومات منقولة عن كتابات الدكتورصادق خورشا.

سريع بعض روّاد التوجّه نحو اللغة الفارسية وآدابها في مصروجانب من أعمالهم.

١- الدكتورعبدالوهاب عزام – ولد ١٨٩٤

شخصية حملت الهمّ الحضاري للأمة فكان أول جامعي مصري اهتم باللغة الفارسية، وهو المؤسس لأقسام اللغة الفارسية في الجامعات المصرية.

من أعماله في حقل اللغة الفارسية وآدابها:

١ - *مدخل الشاهنامة العربية للبنداري*

٢- *التصوف وفريد الدين العطار*

٣- *الأدب الفارسي* بالاشتراك مع يحيى الخشاب

٤- ترجمة فصول من المثنوي لجلال الدين الرومي

٥- ترجمة *پيام مشرق*، لإقبال اللاهوري من الفارسية

٦- ترجمة *چهارمقاله* عروضي من الفارسية بالاشتراك مع يحيى الخشاب

٧- ترجمة ديوان *ضرب الكليم*، لإقبال اللاهوري من الفارسية

٨- ترجمة *ديوان الأسرار والرموز*، لإقبال اللاهوري من الفارسية

٢- الدكتوريحيى الخشاب ، ولد سنة ١٩٠٩

أحد تلامذة الدكتورعزّام، تولى هو والدكتورالشواربي رئاسة أول قسم للغة الفارسية بعد أن أسسه عزام سنة ١٩٥٠. ومن أعماله:

١ .*حكايات فارسية*

٢- *چهارمقاله* (اربع مقالات) بالاشتراك مع عزام

٣- *إسلام الفرس* (مدخل في تراث فارس)

٤- *تاريخ الأدب الفارسي في القرن التاسع عشر*

٥- *التقاء الحضارتين العربية والفارسية*

٦- *الشاهنامة للفردوسي*

٧- ترجمة *تاريخ البيهقي* لأبي الفضل البيهقي من الفارسية

٨- ترجمة *سفرنامه ناصرخسرو* (رحلته) من الفارسية

٣- الدكتورإبراهيم أمين الشواربي، ولد سنة ١٩٠٩

اشتهربترجمة ديوان حافظ الشيرازي تحت عنوان *أغاني شيرازأو غزليات حافظ الشيرازي*، أشاد بجهده في هذه الترجمه طه حسين في مقدمة الكتاب وبعض المستشرقين.

من أعماله:

١ –*قواعد أساسية لدراسة الفارسية*

٢-*أغاني شيراز*أو غزليات حافظ الشيرازي

٣- *حافظ الشيرازي* / دراسة لشخصيته وديوانه

٤- ترجمة كتاب *حدائق السحر ودقائق الشعر* لرشيد الدين الوطواط، وهو أول كتاب في علوم البلاغة الفارسية

٥- *قصة الحضارة الفارسية*

٦- ترجمه كتاب *تاريخ الأدب في إيران (من الفردوسي إلى السعدي)* للمستشرق إدوارد براون

٧- ترجمة كتاب *راحة الصدور وآية السرور* لنجم الدين الراوندي بالاشتراك مع آخرين، وهو كتاب في تاريخ السلاجقة.

٤- الدكتور محمد موسى الهنداوي

اشتهر بترجمة كتابي سعدي الشيرازي: *بوستان*، و*گلستان*، وهو من تلامذة الدكتور عزام أيضًا، ومن الجيل الأول من خريجي اللغة الفارسية في جامعة فؤاد الأول.

من أعماله:

١ - *تاريخ الأدب الفارسي* (كتاب مترجم من الفارسية الى العربية)

٢- *سعدي الشيرازي شاعر الإنسانية*

٣- *المعجم في اللغة الفارسية*.

٤- ترجمة *بوستان لشاعر الإنسانية سعدي الشيرازي* الجزء الأول

٥- ترجمة *گلستان أو الروضة* (الجزء الأول)

٦- ترجمة *جامع التواريخ*: رشيد الدين فضل الله

٧- ترجمة *بوستان* (الجزء الثاني)

٨- ترجمة *گلستان* أو الروضة (الجزء الثاني)

٩- ترجمة *بوستان* (الأجزاء الأخيرة)

٥- الدكتور محمد عبدالسلام كفافي ١٩٢١ – ١٩٧٢

اشتهر بترجمة المثنوي لجلال الدين الرومي. ومن أعماله:

١ – ترجمة *مثنوي* جلال الدين الرومي.

٢- *جلال الدين الرومي في حياته وشعره.*

٣- *في الأدب المقارن.*

٤- *جلال الدين الرومي شاعر الصوفية الأكبر.*

٥- *محاضرات في أدب الفرس وحضارتهم.*

٦- ترجمة كتاب *تراث فارس* (عن الإنجليزية).

٦- الدكتور طه ندا

أسس مدرسة علمية تقوم على أساس التواصل بين العربية والفارسية، وهو من روّاد الجيل الثاني من المهتمين باللغة الفارسية وآدابها.

ومن أعماله:

١ - *دراسات في الشاهنامة.*

٢- *الأدب المقارن.*

٣- *فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية.*

٤- *النصوص الفارسية.*

٥- *الإشارات الفارسية في الأشعار العربية.*

٦- *الأعياد الفارسية في العالم الإسلامي.*

٧- *الأعياد الفارسية في الآداب الإسلامية.*

٨- *الشعر الفارسي في القرن الرابع الهجري.*

٩- *مدينة بخارى* دراسة أدبية فارسية عربية.

١٠- *الشاعر الفارسي الرودكي.*

١١- *نشأة الشعر الفارسي الإسلامي.*

١٢- *أثر الحضارة الإسلامية في أوربا.*

١٣- *فهرس مقارن للآداب الإسلامية.*

١٤- *الحكم التركي في إيران.*

٧- الدكتور عبد النعيم محمد حسنين

ولد سنة ١٩٢٣ والد الأستاذة الدكتورة شيرين عبدالنعيم حسنين أستاذة اللغة الفارسية في مصر.

له مؤلفات كثيرة أهمها:

١ –*فن المثنوي*: بحث بالفارسية.

٢- *معلم الفارسية*: ثلاثة أجزاء، بالاشتراك، .

٣- *نظامي الگنجوي شاعر الفضيلة الإيراني.*

٤- *سلاجقة إيران والعراق.*

٥- *جمال الدين الأسد آبادي.*

٦- *تقديس الماء عند الإيرانيين القدماء.*

٧- *إيران ماضيها وحاضرها*: ترجمه عن الإنجليزية.

٨- *كليلة ودمنة بين الفارسية والعربية*: دراسة مقارنة.

٩- ترجمة *راحة الصدور وآية السرور للراوندي*: في تاريخ السلاجقة.

١٠- *قواعد اللغة الفارسية.*

١١- *قاموس الفارسية.*

١٢- *حقيقة جمال الدين الأفغاني*، في مجلدين.

١٣- *إيران والعراق في العصر السلجوقي.*

١٤- *إيران في ظل الإسلام.*

١٥- *الإيرانيون القدماء.*

١٦- *الأدب الصوفي.*

١٧- *عوامل الوحدة في العالم الإسلامي المعاصر.*

١٨- ترجمة *العراقة في الحكاية السلجوقية* .

١٩- *ملامح الأدب الفارسي الحديث والمعاصر.*

٢٠- *دولة السلاجقة.*

* * *

يطول بنا الحديث لو أردنا استعراض روّاد الجيل الأول والثاني في الدراسات بمصر، وننتقل للوقوف عند واحد من كبار الجيل الأخير وهو:

٨- الدكتورابراهيم الدسوقي شتا (١٩٤٣ – ١٩٩٨)

أحد رواد الدراسات الشرقية في مصروأستاذ اللغة الفارسية وآدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة.

من أعماله:

١ –*التصوف عند الفرس*.

٢- *الشعرالفارسي الحديث*: دراسة ومختارات.

٣- *المعجم الفارسي الكبير* (بالفارسية: فرهنك بزرگ فارسي).

٤- *مطالعات في الرواية الفارسية المعاصرة*.

٥- *اللغة الفارسية والنصوص المتخصصة*.

٦- ترجمة *قصص من الأدب الفارسي المعاصر* (تأليف صادق هدايت)

٧- ترجمة رواية *البومة العمياء* (بوف كور) للأديب الإيراني صادق هدايت.

٨- *ترجمة النثرالفني في الأدب الفارسي* المعاصرلحسن كمشاد.

٩- *ترجمة مثنوي جلال الدين الرومي* (١٩٩٦ – ١٩٩٧) (في ستة أجزاء صدرت في إطارالمشروع القومي للترجمة عن المجلس الأعلى للثقافة بمصر). وهو من أهم أعماله .

١٠- ترجمة *مختارات من ديوان شمس الدين تبريزي* (٢٠٠٠) (صدر في إطارالمشروع القومي للترجمة عن المجلس الأعلى للثقافة بمصر).

١١- *إيران من الداخل* .

١٢- ترجمة بعض كتب الدكتورشريعتي.

الجواهري في زيارته الثالثة لإيران

بكيت مرات عند قراءة قصائد الجواهري.. هكذا قال الإمام الخامنئي في بعض محاضراته التي يلقيها أسبوعيًا باللغة العربية حول مختلف شؤون الأدب والحياة.

دارالحديث في بعض تلك المحاضرات عن الشاعرالنجفي محمد مهدي الجواهري فعاد الأستاذ المحاضرإلى ذكريات شبابه، حين تعرف لأول مرة على شعرالجواهري من خلال صديقه اللبناني المرحوم السيد محمد جواد فضل الله.

راح السيد الإمام يستعيد تلك القصائد التي أثارت فيه هياجًا بالغًا ويردد:

أطبق دجى، أطبق ضبابُ أطبق جهامًا يا سحابُ
أطبق دخان من الضمير محرّقًا أطبق، عذابُ..
أطبق على متبلّد ين شكا خمولَهم الذبابُ
لم يعرفوا لون السماء لفرط ما انحنت الرقابُ

ويواصل قراءة أبيات القصيدة بتأثربالغ وتفاعل كامل مع التجربة الشعورية للشاعر.. ثم ينتقل منها إلى قصيدة:

نامي جياع الشعب نامي حرستك آلهة الطعام

نـــامي فـــإن لـــم تشـــبعي مـــن يقظـــة فمـــن المنـــام
نامـي علـى زبـد الـــوعـود يـــداف في عسل الكلام...

وبعد كل بيت يتوقف ليبين مافيه من مضامين رائعة وموسيقى خلابة، ومشاعرجياشة.. ثم ينتقل إلى قصيدة أخرى.. وأخرى.

ترى أمامه وهو يتحدث كتبًا كثيرة، ودواوين كثيرة، تتغير كل أسبوع غالبًا، إلا *ديوان الجواهري* فهو إلى جانبه دائمًا، يعود إليه كلما اشتاق إلى الحديث عن الجواهري وشعرالجواهري.

ولا يصعب على مستمعيه أن يفهموا سبب شغفه بشعرالجواهري، فقد وهبه الله ذوقًا أدبيًا رفيعًا يستطيع به أن يدخل مع الجيد من الشعرنفس التجربة الشعورية التي يخوضها الشاعر، ويتفاعل مع القصيدة تفاعلاً تامًا وينظرإلى كل مافيها من قوة وضعف، ولذلك اشتهربين أدباء إيران بأنه ناقد لا يبارى. عرفوه ناقدًا أكثرمما عرفوه شاعرًا. ثم إنه عشق اللغة العربية وهام بها وقرأ لأمراء الشعر العربي القديم، وهام خاصة بجريروالفرزدق والمتنبي والبحتري وأبي تمام.. وكان ذلك دافعًا آخرللسيد الإمام نحو شعرالجواهري باعتباره وارثًا لعمالقة الشعرالمسمى اليوم بالشعرالكلاسيكي.. أو الشعرالعمودي الأصيل الذي يغرف فيه الشاعرمن بحرأو ينحت في صخر.

أضف إلى هذا وذاك أن الجواهري كان يحمل هموم المجتمع العربي بما فيه من سبات عميق وتخلف اجتماعي وفقرمدقع وسيطرة العملاء، وهي نفسها هموم الثوارفي إيران أيام نضالهم في

عصر الشاه. لذلك كان الجواهري يتحدث في كثير من قصائده، وخاصة تلك التي اهتز لها السيد الإمام، عما يجول في نفس كل ثائر إيراني.

ولا تعجب إذا رأيت هذا «الرجل الفقيه» مولعًا بالشعر إلى هذا الحد الكبير، فكل الفقهاء الكبار أصحاب ذوق رفيع في الشعر. أضف إلى ذلك أن الذوق الأدبي لا ينفك عن الفقاهة، لأن فهم الكتاب والسنة لا يتم إلا بتذوق الجانب الأدبي من هذه النصوص الدينية التي يقوم عليها الاستنباط.

كما لا تعجب إذا رأيت الرجل من «موقعه القيادي» ومسؤوليته الكبيرة يخصص وقتًا للأدب العربي، فهو وسيلة ارتباط بالتراث، وبالأمة العربية، وهو أيضًا حاجة نفسية وروحية لا يجوز التفريط بها في مسيرة الحياة.

وفي مرة وقع بيده الجزء الأول من كتاب الجواهري: ***ذكرياتي***، فعكف على قراءته بشغف لما فيه من أحداث تاريخية ووقائع أدبية ووضع هوامش على كثير من صفحاته، وتصحيحات لبعض معلوماته، وربما رجع إلى الديوان ليطابق بين الوقائع والقصائد.

بلغه أن الجواهري يود أن يسافر من مهجره في سورية مع زوجته أم فرات إلى إيران لزيارة ثامن أئمة أهل البيت الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في مدينة مشهد من محافظة خراسان. أمر السيد أن توفر لهما سبل السفر، غير أن الأجل لم يمهل أم فرات،

فتوفيت وفي قلبها حسرة زيارة الإمام الرضا، وحين وصل النبأ أوعز السيد الإمام بإقامة مجلس فاتحة على روحها، في مرقد الإمام الرضا تقديرًا لرغبة دينية لم تتحقق للمرحومة، وتكريمًا لأسرة الجواهري العريقة في العلم والأدب والجهاد.

بعدها بمدة وصل نبأ برغبة الجواهري أن يقيم مدة في إيران. وليس بمستغرب أن تكون للجواهري مثل هذه الرغبة فهو عراقي، و إيران للعراقيين مصيف ومزار، والعراق للإيرانيين مزارلأئمة آل البيت، فالتزاوروالتزاوج والتفاعل الاجتماعي والثقافي والعلمي كان قائمًا على مرالعصوربين العراقيين والإيرانيين، وكثيرمن الأسرمثل أسرة الجواهري نصفها يقطن في العراق ونصفها في إيران. والجواهري نفسه له زيارتان هامتان مسجلتان في ديوانه لإيران حين كان شابًا، فلماذا لاتكون له زيارة ثالثة لإيران التي لبست حُلّةَ العزّ والاستقلال والحرية بفضل ثورة الإسلام، وهي أهداف طالما حلم الشاعربها وغنّى لها في حياته الأدبية.

قال السيد الإمام حين بلغته رغبة الجواهري: عسى أن تكون زيارته لإيران عاقبة خيرلهذا الرجل الذي أنشد في الإمام الحسين(عليه السلام) أروع قصيدة، كما ألهب شعوب الأمة وعبأها ضد أعدائها ومذليها وساحقي كرامتها..

بعث السيد القائد من يدعوالشاعر، فما هي إلاأيام و إذا الجواهري في مطارطهران يبدأ زيارته الثالثة والأخيرة إلى إيران. كان في استقباله عدد من الأدباء والكتاب، وألقى أحد الأدباء

العراقيين قصيدة رحب فيها بالجواهري وعتب عليه عتابًا خفيفًا لسكوته عما يجري في بلده، وعما حدث في إيران، لم يجبه الجواهري، لكنه أحس بمرارة العتاب. بعد ذلك تحدث عن سبب سكوته، ثم أنشد بمناسبة «الغدير» قصيدة بررفيها هذا السكوت ـ سيأتي ذكرها ـ ثم حين زارمرقد الإمام الخميني(رض) قال: أنشدت في الإمام الخميني بيتًا أحسبه يعادل قصيدة من أعظم قصائدي وهو:

إمام ومن ذا يكون الإمام إذا لم تكنه عليك السلام

فرح كثيرًا حينما سمع بشغف الإمام الخامنئي بشعره وتعجب حينما علم بأن السيد قد طالع ذكرياته بولع وبسرعة مع تهميش لكثيرمن الصفحات. وكان يقلقه انزعاج السيد من الصفحات التي تتحدث عن لحظات ضعف الشاعر وانهيار إرادته وانغماسه أيامًا من حياته في المجون. وسجل هذا القلق في آخربيت من مقطوعة دوّنها على كتاب *ذكرياتي* الذي قدمه للسيد في لقائه به يوم ١٩٩٢/٥/١٠.

كان لقاء تاريخيًا. جلس الشاعرفي صالة الضيوف. ثم أقبل السيد فنهض الشاعرنحوه وقبّل يده، وقال: هذه أول يد وآخر يد أقبلها.

ثم جلس واستأذن السيد في إلقاء هذه الأبيات التي كتبها بيده المرتعشة على كتاب *ذكرياتي*:

سـيدي أيهـا الأعـزّالأجـلّ أنـت ذو منّـة وأنـت المـدلّ
يعجزالحرف أن يوفّي عظيمًا كـل مـازاد عـن سـواء يقـلّ
أيها الشـامخ الـذي شـاءه الله زعيمًـا لثـورة تسـتهلّ
لـك فـي السـلم منبـرلا يبـارى لك في الحرب مضرب لا يفلّ
لـك فـي ذمـة الإلـه يمـين يـد مَـنْ مسّـها بسـوء تشـلّ
لـك أهـل فـوق الـذرى ومحـلّ لك بعد في المكرمات وقبل
فاغتفرلي مازلّ من ذكرياتـي يـا عطـوفًا على خطى من يزلّ

استحسـن السـيد المقطوعـة وأشـكل علـى بعـض مفرداتهـا، ودار نقـاش أدبـي ممتـع، ثـم دارالحـديث عـن أسـرة الجـواهري ومكانتها العلميـة والأدبيـة، وسـأل السـيد الإمـام عـن بعـض أفرادهـا. وانتهـت الجلسة، وغادرالجواهري بيت السيد الخامنئي وهو يردد: «**لقد عادت إلى إيران أيام «ابن العميد» و«الصاحب بن عبّاد»** مشيرًا إلى ماكان في إيران خـلال القـرن الرابـع مـن اهتمـام بـالأدب العربـي ومـن مجـالس أدبية صاخبة على أعلى المستويات.

وأمضـى الجـواهري بضـعة أشـهرفـي إيـران كـان يعـاني فيهـا مـن ضعف البصروالسمع وانهيارالقوى والأعصاب. غيرأن ما يقرب من قرن من الزمان عاشه الجواهري لم يؤثرعلى ذاكرة الرجل، فقد كـان خـلال إقامتـه فـي إيـران يتحـدث عـن ذكرياتـه السياسـية والأدبيـة والاجتماعيـة، منـذ أيـام صبـاه وشـبابه، وبالتفاصيل، وكـأن كـل شيء كـان ماثلاً أمامه.

عقـد لـه الشـعراء والأدبـاء الإيرانيـون فـي طهـران جلسـة تكـريم،

أنشد فيها الشاعر قصيدته «آمنت بالحسين»:

فـداءٌ لمثـواك مـن مضـجع تنـــــوّر بـــــالأبلج الأروع
بـأعبق مـن نفحـات الجنـا ن روحًا، ومن مسكها أضوعِ
ورعيًا ليومـك يوم «الطفوف» وسقيًا لأرضـك مـن مصرع

وكانت الأديبة الشاعرة صديقة وسمقي قد ترجمت القصيدة إلى الفارسية ترجمة أدبية رائعة، فقرأتها على السامعين، وضجّت الجلسة بالبكاء، لاحزنًا على الحسين، لأن الشاعر لم يسلك نهجًا بكائيًا فيها، بل للهياج العاطفي الذي تتركه القصيدة في النفوس جرّاء سردها للمواقف البطولية في واقعة الطف بكربلاء.

وخلال إقامته في إيران التقى في مدينة قم عائلة الجواهري الكبيرة المهاجرة من العراق، وبكى الشاعر حينما رآهم، وتفقد واحدًا واحدًا منهم، وبينهم العلماء والتجار والطلبة.. كما زار شمال إيران وتمتع أمدًا بجمال الطبيعة الساحر على بحر الخزر وعلى ضفاف جبال «البرز» الخضراء.

وحانت ذكرى الغدير في السابع عشر من ذي الحجة حيث تجمع روايات أهل السنة والشيعة على أن رسول الله (ص) أعلن عليًا (عليه السلام) بعد حجة الوداع في هذا اليوم وليًّا للمسلمين، فكتب الجواهري إلى السيد الإمام رسالة مشفوعة بقصيدتين. وهذا نصّ الرسالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي سماحة القائد الأعلى الجليل دام ظله

أقبل يدكم وأتشرف ـ وأنا الغريق بألطافكم ـ بأن أرفع إلى سماحتكم تهنئتي هذه المتواضعة بعيد (الغدير) السعيد آملاً أن تحوز شرف قبولكم إياها.

كما أنني أتشرف بأن أرفع إليكم قصيدة جديدة بدأت بها مرفقة بقطعة شبه جديدة لم تنشر بعد جاءت بمحض الصدفة على وزنها وقوافيها بل حتى لكأنها جزء لا يتجزأ مما أريد أن أقوله فيها. كل ذلك لمجرد مباركتكم إياها على أن تكون بعد إتمامها في الجملة من قصائدي التي تحوز شرف رضاكم عنها.

أعاد الله على سماحتكم مدى عمركم الطويل عيد الغدير السعيد وقد تخلّص المسلمون برعايتكم وتوجيهاتكم الكريمة من براثن المستكبرين والمستعمرين، وعاد إليهم ومن جديد عز الإسلام ومجده القديم. وتقبلوا يا سيدي صميم إجلالي و إعزازي.

والسلام عليكم

المخلص الأمين محمد مهدي الجواهري

«١٩٩٢/٦/١٩»

القصيدة الأولى التي قدمها الشاعر بالنصّ على النحو التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

مرفوعة إلى حضرة سماحة سيدنا القائد الأعلى للجمهورية الإسلامية في إيران آية الله السيد علي الخامنئي حفظه الله ورعاه.

أبا الحسين تحيات معطرة في يوم عيد (غدير) رحت ترعاهُ

كـان الـوليّ (أميـرالمـؤمنين) بـه ... واليـوم أنـت (ولـيُّ الأمـرمـولاهُ)

يـا سـيد الأمـة الكبـرى وقائـدها ... يسـراه تحسـد عنـد الله يمنـاهُ

تعطـل الزنـد منهـا واستشـاط دم ... سـوح الجهـاد تلقـاه وتسـقاهُ

نحـن الـدعاة إلى (التوحيـد) يعوزنـا ... قـول نعـايش معنـاه ونخشـاهُ

تسـابقت مـن (قـريش) سـادة نجـب ... (خلائـف) مـن رسـول الله أشـباهُ

كـلٌّ وللواحـد الجبـارعصـمته ... ممدح في حمى الإسلام مسعاهُ

وكان ماكان من نهج، ومن شطط ... لـلآن يشـتط مغـزاه ومرمـاهُ

واستنفر(الدين) رهـط بعدهم شعث ... مـن كـل مستكبرعبدٍ لدنياهُ

ديسـت بهـم عرصـات(الوحي)،وانتبهت ... عصـائب أهـل بيـتٍ صـانه اللّهُ

واليـوم تـدفع عـنهم فديـةً أمـمٌ ... بريئـةُ الـدم مـن ذئـبٍ تبنّـاهُ

مسـتعبدين لحكـم الفـرد يـرهقهم ... بكـل مـا يتشـهاه ويأبـاهُ

يمتصّ من قدرهم طورًا، ومن دمهم ... مسـتعمرٌبالـذي يمـتصُّ تيّـاهُ

خطـب ألـم بـدنيا كـل مسـلمةٍ ... ولـيس يعـرف إلاالله عقبـاهُ

وأنـت يـا سـيد المستضـعفين لهـا ... عن كل مااستطعت من غوث ستجزاهُ

لـك الأمانـة ألقـت ثقلهـا، شـرفٌ ... مـا كـل مـن يتمنّـاه يلقّـاهُ

تخيرتك إمـام الناهضين بهـا ... كأنـها دون كـل النـاس تهواهُ

المخلص الأمين محمد مهدي الجواهري

١٨ /٦/ ١٩٩٢

والقصيدة الأخرى التي أشارإليها الشاعرفي رسالته إلى السيد الإمام تحت عنوان: إيران، ونصّها:

إيـران عـاد الصـبح مـن أفـراح ... حـذر الفـوات، فـآذني بصـباح

سـبحان مـن يسـع الفتـى وغـروره ... ويمـدّه لوحًـا مـن الألـواحِ

ولقد بكيت لفرط ما طمح الردى ... بـأحبتي، فسـخرت مـن أطمـاحي

قـالوا سـكتّ وأنـت أفظـع مهلـبٍ ... وعـن الجمـوع، لزنـدها قـدّاحِ

حتـى علـى صـور الملاح أثـارةٌ ... حمـراء مـن صـورلَـديكَ مـلاحِ

فعـلام أُبـدل وكـرُنَسـرٍ جـامحٍ ... حـرٍ بعـشّ البلبـل الصـداحِ

فأجبتهم: أنا ذاك حيث تشابكت ... هـام الفـوارس تحـت غـاب رمـاحِ

قـد كنت أرقب أن أرى راحـاتهم ... مـدّت لأدفـع عـنهم بـالراحِ

لكن وجدت سلاحهم في عطلةٍ ... فرميت في قعرالجحيم سلاحي

قد كنت أُحمل فوق أجنحةٍ لهم ... واليـوم أحمـل مهجتـي بجنـاحي

واليـوم أحمـل جـذوة مسـعورة ... لاشـيء ينجـدها مـن الأرواحِ

لابـد أبـرد حرّهـا فأعرتهـا ... ريـح الصـبا، ووهبتهـا للـراحِ

ولقـد أقـول لصـاحبي لـم أدره ... أسـيان أم ثمـلاً، أفـق يـا صـاحِ

كن فوق داجية الخطوب وريبها ... وألـح مـن آذيهـا الملحـاح

وتحـدّها، فلقـد تحـدّت صـخرةٌ ... طوفـان (نـوح) ببطشـه المجتـاحِ

وارحمتـا للجيـل دون عذابـه ... حمـم (الجحـيم) ومديـة الـذباح

ترمـي بـه الأطماح في متفجـرٍ ... صخبٍ، وتسقطه على ضحضاح

وفي هذه الزيارة تفاصيل وذكريات كثيرة تحتاج إلى حديث مستقل.

حافظ الشيرازي
في دراسات سيّد قطب

عالم «الأدب» هو عالم «الإنسان» بكل ما فيه من أبعاد واسعة تتجاوز الدائرة العقلية الباردة، وتتجاوز الساحة المادية المنظورة. إنه عالم «العرفان» والتحليق في ذروة ما يتهيأ للإنسان من سمو في عالم النور والضياء والإشراق.

الأدباء الحقيقيون «عرفاء» يعيشون أجواء «نفخة» رب العالمين في هذا الموجود الطيني، ويخاطبون ما في نفس البشر من معطيات هذه النفخة، ومن هنا فإن الأديب الحقيقي ليس ملكًا لشعبه وأمته، بل هو ملك للإنسانية جمعاء.

«سيد قطب» من الذين فهموا معنى الأدب وارتفعوا في آفاقه، وأدركوا دوره في خطاب مشاعر الإنسان، واستخدموه استخدامًا إنسانيًا وبذلك ارتفع خطابه إلى مستوى الإنسانية، واتسم بالحرارة والتوهج والإشراق.

لا نريد هنا أن نبيّن معنى «الأدب» كما فهمه سيد قطب، ولا أن نتحدث عن خصائص مدرسته الأدبية والنقدية فلذلك مجال آخر.

بل نريد فقط أن نستعرض وقفاته مع «الأدباء الإيرانيين» وهو استعراض نستهدف منه:

١ ـ تقديم نموذج لزوال الحواجز القومية في عالم الأدب.

فعالم الأدب إنساني رفيع يجمع على ساحته كل البشرية بمختلف قومياتها ولغاتها، ولذلك كان عالم الأدب أهم الساحات المناسبة لدعاة «التقريب» و«حوار الحضارات» و«وحدة الإنسانية».

٢ ـ إذا كان الانفتاح بين الآداب العالمية ضروريًا، فهو بين الآداب المنتمية إلى تربة حضارية واحدة أكثر ضرورة، ومن تلك الأدب العربي والأدب الفارسي.

٣ ـ ثمة نظرات ضيقة تطرح في ساحة الأدب، تحصر وظيفة الأدب بالخطاب الوعظي عن الفضيلة والرذيلة، ولذلك تبتعد عن كل ما سوى ذلك من الأدب، بينما نرى سيد قطب يرى الأدب عامة والشعر بشكل خاص بأنه الغناء، الغناء المطلق، بما في النفس من مشاعر وأحاسيس وانفعالات[1].

وليس من غاية العمل الأدبي أن يكون مكلفًا أن يتحدث مثلاً عن صراع الطبقات، أو أن يتحول إلى خطب وعظية عن الفضيلة والرذيلة.. إلاّ أن يصبح أحد هذه الموضوعات «تجربة شعورية خاصة للأديب»[2]. بهذه النظرة الواسعة للأدب قرأ «سيد» حافظًا الشيرازي، كما تناول الخيام وبشار وأبا نؤاس، وقدّم أجمل النظرات النقدية بشأنهم.

---

١ ـ *النقد الأدبي* / ٥٧.

٢ ـ *النقد الأدبي* / ص١٠.

حافظ الشيرازي

الخواجة شمس الدين محمد حافظ الشيرازي، أشهر شعراء الفارسية في القرن الثامن الهجري، لقب بلسان الغيب وترجمان الأسرار. ولد في شيراز من مدن محافظة فارس الحالية وعاش وتوفي فيها، ومقبرته معروفة تسمى بالحافظية[1]. وسمي «حافظًا» لأنه حفظ القرآن الكريم. وديوانه متداول في كل بيت إيراني، وترجم إلى لغات عديدة، وترجمه إلى العربية نظمًا ونثرًا الدكتور إبراهيم أمين الشواربي مع مقدمة للدكتور طه حسين.

وقفة عند حافظ

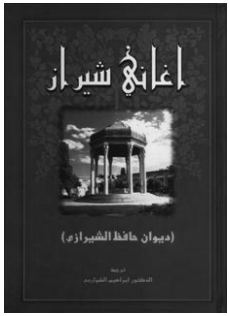

عند صدور *أغاني شيراز* للدكتور إبراهيم أمين الشواربي وهو يضم ترجمة منظومة ومنثورة لأشعار حافظ الشيرازي سارع سيد قطب لاقتناء الكتاب والتعليق عليه، وأظن ظنًا أن إقبال الأدباء والنقاد المصريين على ترجمة ديوان حافظ ينطلق من شوق دفين لديهم إلى تراث الشرق لخصلتهم الشرقية العميقة، ولسأمهم من

---

١. *فرهنك شاعران زبان بارسى*، عبد الرفيع حقيقت.

كثرة ما طالعوه من ترجمات الأدب الأوربي التي لاتنسجم في كثيرمن نفحاتها مع روح الشرقيين.

الدكتورطه حسين في مقدمته للترجمة يشير إلى ذلك، وهكذا الشاعرمحمد مهدي الجواهري يصرّح بذلك لدى ترجمته بعض أشعارحافظ الشيرازي[1].

وسيد يتحدث عن مشاعره مع أغاني حافظ فيقول:

«عشت أيامًا جميلة مع «حافظ» أتاحها لي ولقراء العربية الدكتورإبراهيم أمين. لست أدري كيف أشكره، فهذه الساعات الحلوة التي أتاحها لي لاتقدّربثمن تكافئ من ينقلك من الأيام الثقيلة الصاخبة الكئيبة، إلى جو طليق هادئ رفاف تشيع فيه الأنداء والأضواء، وترف فيه الأنسام والألفاظ، ويستقبلك بالطلاقة والبشروالإيناس!

لقد أخلدت ـ مع حافظ ـ إلى الغناء العذب بروح صادقة، لاتكدرها شوائب الحياة، ولاهموم العيش، ولاأحقاد الناس، ولاتفسدها كذلك غواشي القلق، ولاهموم الفكر، ولاالجدل الذهني العقيم.

كأس من الخمر، ووجه جميل، ورفاق مسعدون، وطبيعة باسمة. وعلى الدنيا السلام...!

«أي شيء أجمل من رفقة الأحباب، والتمتع باللهو والرياض

---

١ ـ انظر *ديوان الجواهري*، ج ١/ ٣٦٧ طبعة وزارة الإعلام العراقية عام ١٩٧٣.

والربيع الجميل؟ فأين الساقي؟ قل له: ما هذا الانتظار الطويل؟ واعتبر ما يتهيأ لك من طيب الوقت فرصة عزيزة وغنيمة كبيرة. فلا علم لأحد بما تكون عليه نهاية الأمور»[1].

ويشير «سيد» إلى *أغاني شيراز* وما فيها من عطاء للعالم العربي، ويركز على النقاط التالية:

- زيادة ثروة الأدب العربي، وإثارة ألوان جديدة من التفكير وفنون من الشعور الخصب.
- زيادة رصيد الغناء في الشعر العربي.
- استرواح عطر الشرق البعيد وبساطته ومرحه، وغيبيته وتصوفه.

ثروة وألوان جديدة

يستشهد سيد بفقرة من مقدمة الدكتور طه حسين حيث يقول:

«... وهذه طرفة أخرى نفيسة رائعة، يسعدني أن أطرف بها قراء العربية! لأنها ستمتعهم من جهة، ولأنها ستزيد ثروة الأدب العربي من جهة أخرى، ولأنها بعد ذلك ستثير في نفوس الكثيرين منهم ألوانًا من التفكير المنتج، وفنونًا من الشعور الخصب، ولعلها أن تفتح لبعض الشباب أبوابًا في الحس والشعور والتفكير لم تفتح لهم من قبل»[2].

ويعلق على ذلك بقوله:

«وهذه نبوءة تصح من غير شك لو خُلّي بين الأدباء - الشبان

---

١ - *كتب وشخصيات* / ٦٨..

٢ - مقدمة *ديوان حافظ*، ترجمه إبراهيم الشواربي.

خاصة ـ وهذه المجموعة من شعر حافظ. فإن قلة النسخ المطبوعة منها، وارتفاع ثمنها بالقياس إلى مقدرة هؤلاء الشبان، قد يجعلان الانتفاع بها محدودًا في الوقت الذي يجب أن تكون في متناول الأيدي جميعًا».

حافظ والغناء في الشعر العربي

يرى سيد أن *أغاني شيراز* ستعمل على تغذية الشعر العربي بالروح الغنائية بعدما غرق الشعر العربي الحديث في موجة فكرية، يقول:

«إن هذه الأغاني تجيء في وقتها المناسب ـ والشعر العربي يعاني أزمة يحتاج فيها إلى مثل هذا الزاد ـ فلقد آن للشعر أن يكون غناء بحتًا، بعد ما طوّح بنفسه في مجالات لم تعد له، أو لم يعد يبدو فيها بأجمل ألوانه.. طوح بنفسه في مجال الفلسفة، وفي لجج الفكر، كما أخذ يطوح بنفسه كذلك في مجال القصة والمسرحية وما إليها، بعد أن عادت روح العصر لا تهش للقصة، ولا للمسرحية الشعرية»[1].

ويرى أن سبب طغيان الموجة الفكرية في الشعر العربي المعاصر يعود إلى اهتمام الشعراء المعاصرين بمواجهة موجة الأسلوب اللفظي أو الإيقاعي التي اهتمت بالمحسنات البديعية الجوفاء والإيقاع الموسيقي الذي لا يتسم بالحياة ولا بالجدية. يقول:

---

١. *كتب وشخصيات* / ٦٩.

«والموجة الفكرية الفلسفية في الشعرالعربي الحديث، كانت ضرورة في وقت من الأوقات، لأنها كانت رد فعل طبيعي لموجة أخرى سبقتها. موجة الأسلوب اللفظي، أو الأسلوب الإيقاعي. فكانت مهمة الموجة الجديدة أن تُدخل القصد والمعنى إلى الأدب، وأن تمد الشعربروافد نفسية وفكرية حية، لتنقذه من ذلك العبث بالمحسنات البديعية الجوفاء، ومن الإيقاع الموسيقي الذي لا يحمل وراءه حياة ولا جدًا. وقد استطاعت أن تحيي الشعرالعربي وتجدد مجده، وتزيد عليه متاعًا قيمًا من صورالحالات النفسية الصادقة. عبرت عنها بدقة بالغة، فأوجدت في الشعرالعربي لونًا جديدًا حقًا، ولكنها وقفت بالشعرالحديث حيث لا يجوزالوقوف، قصت من أجنحته المرفرفة، وغضت من غنائيته المنغمة، وأقلت فيه من السبحات والومضات، وجعلت عنصرالوعي الفكري بارزًا فيه»[1].

وما هي مهمة الشعرإذن؟ يقول سيد إن الشعر:

«يجب أن يكون تعبيرًا عن لحظات الإشراق والتهويم، ولحظات التوهج والانطلاق في النفس الإنسانية، تلك اللحظات التي يستحيل فيها الشاعرروحًا أكثرما تكون تجردًا، أو حسًا أشد ما يكون توهجًا. تلك اللحظات التي ينطلق فيها التعبير كأنما يكون نفسه . و إن كان الوعي يعمل فيه .وهي لحظات يعرف مثلها كل شاعر ملهم في حياته الطويلة. وما عداها من اللحظات والحالات فغير

---

١ .*كتب وشخصيات* / ٧٠.

جدير بالشعر في اعتقادي، أو أنه من الدرجة الثانية أو الثالثة في حياة الشاعر الفنية»[1].

وعن دور ترجمة شعر حافظ في مواجهة الموجة الفكرية في الشعر العربي المعاصر يقول:

«و*أغاني شيراز* تأتي في حينها المناسب لتساعد على انحسار الموجة الفكرية عن الشعر الحديث. وقد لا تلبي هذه الأغاني كل مطالب الشعر في هذه الفترة، لأن الحس يغلب عليها والأشواق الروحية الخالصة تقل فيها ـ على الرغم من طابعها الصوفي ـ ولكنها على كل حال تزيد من رصيد الغناء في الشعر العربي زيادة لها قيمتها. وحسبها أنها تجعل الشعر غناءًا خالصًا لا تبهظه أثقال الفلسفة إلا حيث تعرض في سرعة وتختفي سريعًا، ولا تبرده ثلوج الفكر ـ وإن كان فيها على ما سيجيء ـ لعب بالألفاظ والصور والمعاني، ولكنه لعب لطيف حلوٌ لا يغضّ من حلاوة الغناء الطليق»[2].

استرواح عطر الشرق

بعد انتشار موجة التقليد للآداب الغربية في الأدب العربي الحديث، ظهر لدى كثير من دعاة «الأصالة» حنين إلى الروح الشرقية، ووجد المرحوم **الدكتور عبد الوهاب** عزام ضالته في الأدب

---

١ ـ المصدر نفسه.

٢ ـ *كتب وشخصيات* / ٧١.

الفارسي فاهتم به، وألفت الأنظار إليه، وتوالت الترجمات العربية للشعراء الإيرانيين تظهر للقارئ العربي، ويتناولها الأدباء والمتأدبون بشوق كبير يدل على وحدة الجذور بين الأدبين العربي والفارسي، ووحدة الروح بين العرب والإيرانيين. **وفي هذا الشأن يقول «سيد» عن أغاني شيراز:**

«ثم إن لها عندي مزية أخرى:

فقارئ هذه الأغاني يستروح فيها عطر الشرق البعيد، وبساطته ومرحه، وغيبيته وتصوفه، ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى استرواح هذا كله، حين تغمرنا موجة العقلية الغربية، وهي موجة قوية طاغية، لا نجد لها في حاضرنا الروحي كفاء.

وفي أغاني حافظ، كما في رباعيات الخيام الفارسيين، وكذلك في أشعار تاجور الهندي ـ على بعد ما بينهم في الإحساس والاتجاه ـ ذلك الروح الشرقي العميق، الذي يستطيع اليوم أن يسعفنا، ويحفظ تراثنا الشعوري في وجه التيار.

وهذا هو ما أعنيه باسترواح الشرق البعيد، فليس نموذجًا واحدًا ما أريد، ولكنها نماذج شتى، تجمعها سمات أصيلة، تعبر عن الموروث والمذخور في نفس الشرق من رصيد»[1].

خصائص شعر حافظ

يستعرض سيد بعض خصائص شعر حافظ ونلخصها فيما يلي:

---

١ ـ المصدر السابق نفسه .

تكرار دون ملل

في شعر حافظ أو غزلياته ـ كما تسمى بالفارسية ـ ظاهرة التكرار وظاهرة اللعب بالنكات اللفظية والتعبيرية التي تزحم بالديوان. وهذا التكرار مشهود في شعر البديعيين في اللغة العربية، غير أنه هنا ممل يبعث على السأم وهناك في شعر حافظ «لا يدعك تسأم أو تمل وهو يكرر ويكرر إلى غير نهاية أوصاف طرة الحبيب التي هي تارة شباك لصيد المحبين، أو سلسلة يأوي إليها العشاق راضين، وتارة نافجة مسك يفوح منها الطيب، أو صولجان من العنبر يسحبه الحبيب على جبينه المشرق في وجهه الجميل... إلى آخر هذا الحشد المكرور من التشبيهات»[1].

٢ ـ الجوّ الموحَّد

حافظ في رأي «سيد» درويش «يخطرف» في حديثه، ويلقي كلمة من هنا وكلمة من هناك حتى ليخيل إليك في بعض الأحيان أنه لا توجد في «الظاهر» رابطة بين الإشارات والإيماءات. غير أنها تربطها في «الباطن» رؤى درويش متصوف، تطالعه من وراء «الغيب» فيرمزلها ولا يبين.

أسلوب حافظ إذن غير مفكك «فوراء هذه الإشارات والإيماءات جو موحّد تعيش فيه الغزلية الواحدة، بل تعيش فيه الغزليات جميعًا، ذلك هو جوّ «الشهود» في اصطلاح الصوفية[2].

---

١ ـ المصدر نفسه/ ٧٢.

٢ ـ *كتب وشخصيات*/ ٧٧.

ويذكر«سيد» أمثلة من شعرحافظ، ويرى فيها «أنها جميعًا أصداء لطيفة لانفعالات شاردة، تتوالى على حسّ مرهف، في «حضرة» الحبيب، ويربطها جميعًا ذلك الرباط اللطيف الدقيق (أي رباط جوّ الشهود)».

٣ .الراحة اللذيذة السالبة

يرى سيد أن هناك تشابهًا بين شعرحافظ والخيام فكلاهما يستجليان السرّ الأعظم للكون، هذا السرّالذي أوصدت دونه الأبواب، **غيرأن الخيام يدقها دقًا عنيفًا متواصلاً حتى كلّت يداه وأدركه الإعياء وغشاه الملال، فجلس يُغرق أشجانه في كأس من الشراب، ويتسلى لحظة ريثما يعود الدق على الأبواب من جديد، لكن حافظًا يواجه الموقف في وداعة واستبشار، لايغرق همًّا ولا ليسكت حيرة، بل لينتشي ويثمل ويتملّى محاسن الحبيب. لقد يئس هوالآخرمن استجلاء سرّالغيب، ولكن هذا لايعنيه، يطلب كأسًا ليرى فيه وجه الحبيب، فربما تفتحت له فيها أسرارالغيوب:**

«الآن ونسيم الجنة يهب من البستان
إليّ بالخمرة المفرحة وبالحوراء التي قامتها كحورالجنان
«ولم لا يفخرالسائل المسكين بأنه أضحى اليوم سلطان الزمان،
وقد عقد له السحاب خيامه، وبسطت له الحقول مائدة الخوان؟
وهذا الربيع الجميل يحكي لي حكايته الجميلة
فيقول: ليس عاقلاً من يفضل النسيئة ويترك النقد.
فعمّرقلبك بالشراب، فلا همّ لهذه الدنيا الخربة
إلا أن تحيل ترابنا إلى لبنات وآجرّات.. » الخ.

من مظاهر حضارتنا الإسلامية

التواصل بين العلماء

في الجزء الثاني من كتاب *نفح الطيب* للمقّري أسماء ٣٠٧ من العلماء والأدباء ممن رحلوا من الأندلس إلى المشرق، وبعضهم وصل إلى فارس وخوارزم و إصفهان والسند وخراسان وجرجان وأهوازوبلاد الجبل و إصطخروآمُد وأرّجان وآذربيجان وطبرستان وفاراب من أمثال:

الحافظ أبو الخطّاب بن دُحيَة (ت٦٣٣هـ)، المحدّث المعروف وصاحب التصانيف من أهل مرسية. تلقى الحديث ببغداد و إصفهان ونيسابور. وأبي صالح عبدالله المعافري الأندلسي (ت ٣٨٣هـ)، ورد نيسابورسنة ٣٤١هـثم خرج إلى مرو، ومنها إلى بخارى حيث توفي هناك. ومن شعره:

ودّعتُ قلبي ساعةَ التوديعِ وأطعتُ قلبي وهو غيرمُطيعي
إن لم أشيّعهمْ فقد شيّعتهم بمشيّعَينِ: تنفُّسي ودموعي

ومنهم أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، وهو من علماء

القراءات سمع الحديث بمصروالشام والحجازوالعراقين والجبل وإصفهان. ونيسابوروأهوازوفارس. وتوفي بسجستان (سيستان) سنة ٣٩٣هـ...

وكان الأندلسيون يرون الشرقَ قبلتَهم في العلم والأدب، ويُكثرون من تقليدهم وشرح كتبهم، لذلك كثرت أسفارهم إلى المشرق، غيرأنّ كتب الرجال والأدب تذكرعددًا من الوافدين من الشرق على الأندلس، وذكرصاحب النفح[1] أسماء ٨٦ منهم، بعضهم من خراسان الكبرى، من مثل:

عبدالرحيم بن أحمد، أبو زكريا البخاري توفي سنة ٤٧١هـ. قال عنه المقّري: لم يدخل في أهل الأندلس أحفظ منه للحديث؛ وعمر بن عثمان، أبو بكرالخراساني، دخل الأندلس في القرن السادس، وهو من المحدّثين؛ وعبيد بن محمد، أبو العلاء النيسابوري، من المحدثين؛ وسهل بن علي بن عثمان، التاجر، النيسابوري، من تلاميذ الإمام الجويني، ومن المحدثين، توفي بغرناطة ٦٠٨هـ وله كتاب *الروضة الأنيقة*.

ومن كبارالوافدين على الأندلس من المشرق، الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسي، توفي سنة ٦٤٢هـ، كان عارفًا في أصول الدين وفروعه والتاريخ والهندسة والطب،وله كتاب في أصول الأشياء، وكتاب في رحلته إلى المغرب نقل عنه المقّري أخبارًا طريفة، ومنهم أشهب بن العضد الخراساني؛ ومنهم عمربن مودود بن عمر،

١- المقّري ٣/ ٥- ٦٢١.

الفارسي، البخاري، يكنى أبا البركات، ولد بسلماس ونشأ بها، وكتب الحديث هنالك، وتعلم العربية والفقه، وانتقل إلى المغرب، فدخل الأندلس، ونزل مالَقَة في حدود ثلاثين وستمائة، توفي بعد الأربعين وستمائة.

زرياب - ثورة ثقافية

أشهرمَنْ ورد من المشرق على الأندلس الموسيقي الإيراني زرياب، وهوأبو الحسن علي بن نافع، من موالي المهدي العبّاسي. غادربغداد مع أسرته خشيةً من حَسَد أستاذه إسحاق الموصلي. كاتبه الحَكَم، ودعاه إلى قرطبة، ثم لم يلبث أن توفي الحكم، وتولى ابنه عبدالرحمن الأوسط، فعلم بأمرزرياب، وأعاد الدعوة، وأمرعمّاله على البلاد أن يحسنوا إليه، ويوصلوه إلى قرطبة. فأنزله في دارمن أحسن الدور، وحمل إليه جميع ما يُحتاج إليه، وخلع عليه. وبعد ثلاثة أيام استدعاه، وكتب له في كل شهربمائتي دينارراتبًا، وأجرى على أبنائه عشرين دينارًا شهريًا. وأجرى عليه هبات في كل عام وفي كل عيد المهرجان وعيد النوروز. وأقطعه من الدوروالمستغلات بقرطبة وبساتينها من الضياع ما يقوّم بأربعين ألف دينار!! جلس زرياب لتعليم الموسيقى في قرطبة وابتكرألحانًا جديدة.

وكان زرياب عالمًا بالنجوم وقسمة الأقاليم السبعة واختلاف طبائعها وأهديتها وتشعّب بلادها وسكّانها، مع حِفظهِ لعشرة آلاف مقطوعة من الألحان، وهذا العدد من الألحان غاية ما ذكره بطليموس واضع هذه العلوم ومؤلفها كما يقول صاحب *النفح*.

ولم يكن تأثيرزرياب في المجتمع الأندلسي مقتصرًا على الجانب الفني، بل تعدّاه إلى كثيرمن نواحي حياة الناس: من طعامهم إلى ملبسهم، وصفّ شعرهم، وطريقة أكلهم وآنيتهم، حتى اتخذه الأندلسيون «قدوة فيما سنّه لهم من آدابه، واستحسنه من أطعمته، فصارإلى آخرأيام الأندلس منسوبًا إليه معلومًا به»[1].

شخصيات أندلسية -إيرانية

وارتباط الأندلس بإيران يعود إلى وجود الإيرانيين في شمال أفريقيا، ودخولهم إليها في فترات متعاقبة من القرن الأول الهجري، ضمن فتوحات مصروالمغرب العربي. ثم ازداد استيطان الإيرانيين في شمال أفريقيا بعد قيام الدولة العباسية. وكانت لهم دول في الشمال الأفريقي. ومن الطبيعي أن يمتدّ هذا الحضور إلى الأندلس، ولذلك نرى ابن حزم -وهو من أعظم علماء الأديان المقارنة والفقهاء والأدباء الأندلسيين -من أسرة فارسية. وهكذا أحمد بن محمد الرازي الأندلسي[2]، أصله من الريّ له كتاب في أخبارالأندلس على غرار أخبار بغداد لأحمد بن أبي طاهر، وكتاب في أنساب مشاهيرأهل الأندلس في خمس مجلدات وغيرها من كتب التاريخ والتراجم توفي سنة ٣٤٤هـ.

١- المقّري ٣/ ١٢٢ - ١٢٣.

٢- ياقوت ٢/ ٢٣٥.

في كتاب *دار الطراز* يطالعنا موشح خرجته فارسية (ابن سناء الملك / ١٣٥-١٣٦).

والمعتمد بن عباد يفخر بعشيرته على أنهم من الأكاسرة من بني الأحرار![1]

إن كوثروا كانوا الحصى، أو فوخروا

فمن الأكاسر من بني الأحرار

وبنو الأحرار هم أبناء الفرس الذين كانوا في صدر الإسلام وفي اليمن خاصّة.

كتاب سيبويه في الأندلس

نشطت الدراسات النحوية في الأندلس وكان *الكتاب* لسيبويه محورًا هامًا في تلك الدراسات[2]. في أواخر القرن الثالث الهجري نرى محمد بن موسى المتوفى سنة ٣٠٧هـ الملقب بالأقشتين يرحل إلى الفسطاط بمصر ويدرس كتاب سيبويه على أبي جعفر الدينوري، ثم عاد إلى الأندلس ودرّسه لطلابه في قرطبة.

ومحمد بن يحيى الرباحي المتوفى سنة ٣٥٨هـ درس كتاب سيبويه على أبي جعفر النحاس بالفسطاط، وعاد إلى الأندلس ودرسه لطلابه دراسة جديدة استوعبت دقائقه وغوامضه.

وعلى الرباحي درس محمد بن الحسن الزبيدي كتاب سيبويه، وبعد أن استوعبه ألّف في النحو كتاب *الواضح*.

١- *ديوان المعتمد بن عباد* /٧٢.

٢- شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي في الأندلس* / ٩٥ - ٩٨.

ومن تلاميذ الزبيدي ابن الافليلي، إبراهيم بن محمد المتوفى سنة ٤٤١هـ الذي أقرأ تلاميذه كتاب سيبويه رواية عن العاصمي عن الرباحي.

ومن الذين اهتموا بكتاب سيبويه في الأندلس الأعلم الشنتمري المتوفى سنة ٤٧٦هـ روى *الكتاب* عن ابن الافليلي وأقرأه لطلابه مذللاً لهم صعابه ومشاكله.

الدراسات النحوية حول كتاب سيبويه راجت في الأندلس وتعمّقت، مما دعت جارالله الزمخشري يرحل في شبابه من خوارزم إلى مكة لقراءة *الكتاب* على نحوي أندلسي كان مجاورًا بها، هو عبدالله بن طلحة المتوفى سنة ٥١٨هـ.

والسيد البطليوسي عبدالله بن محمد المتوفى سنة ٥٢١هـ في كتابه *المسائل والأجوبة*، يعرض فيه آراء نحوية من مدارس مختلفة ومنها آراء سيبويه.

ومعاصره ابن الباذش علي بن أحمد المتوفى سنة ٥٢٨هـ له شرح على كتاب سيبويه.

وابن خروف، علي بن يوسف المتوفى سنة ٦١٠هـ اشتهر بشرحه على كتاب سيبويه.

وابن مالك محمد بن عبدالله المتوفى سنة ٦٧٢هـ استوعب آراء سيبويه في *الألفية* وفي *التسهيل*، وفي *شرح الكافية* لابن الحاجب.

وكان يعاصره ابن الضائع علي بن محمد المتوفى سنة ٦٨٠هـ وله شرح على كتاب سيبويه.

وخاتمة أئمة النحو في الأندلس أبو حيان محمد بن يوسف تلميذ

ابن الضائع المتوفى سنة ٧٤٥هـ وله تفسير يغلب عليه الطابع النحوي هو *البحر المحيط*. وله شرح على كتاب سيبويه، غادر الأندلس إلى القاهرة وعلى يديه تخرج جيل من النحاة المصريين.

مؤلفون أندلسيون من أصول إيرانية

ابن عبد ربه، أحمد شهاب الدين، وجدّه سالم من موالي الأمويين، ولد في قرطبة سنة ٢٤٦. كتابه *العقد الفريد* أراد به ـ كما نعتقد ـ نقل الثقافة المشرقية إلى الأندلس. ولذلك قال الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) حين رأى الكتاب: هذه بضاعتنا رُدّت إلينا. ظننت أن هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم، و إنما هو مشتمل على أخبار بلادنا، لا حاجة لنا فيه»[١].

ولا نجانب الصواب إذا قلنا أنه أراد أن يوجد بكتابه حلقة وصل بين إيران والأندلس. نراه ينحو نحو أهل التسوية في عدم التفاضل بين قوميات المسلمين إلاّ بالتقوى. ويذكر بأسلوب ذكي أن «الشعوبية» ليست سوى دعوة لهذه التسوية.

ثم ينقل الآراء التي ترى ذلك، ويشير بعدها إلى كتاب ابن قتيبة المسمى *تفضيل العرب* ويذكر أن ابن قتيبة نقضه بنفسه في خاتمة كتابه، يقول[٢]:

«وما رأيتُ أعجبَ من ابن قتيبة في كتاب *تفضيل العرب*؛ إنه

١- ياقوت، مصدر مذكور ٤/٢١٤ - ٢١٥.

٢- ابن عبد ربه، *العقد الفريد* ٣/٣٥٨ - ٣٥٩.

ذهب فيه كل مذهب من فضائل العرب، ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية، فنقض في آخره كلَّ ما بنى في أوله؛ فقال في آخر كلامه؛ وأعدل القول عندي أن الناس كلهم لأب وأمّ، خُلِقوا من تُراب، وأُعيدوا إلى التراب، وجروا في مجرى البول، وطرأ عليهم الأقذار؛ فهذا نسبهم الأعلى الذي يرتدع به أهل العقول عن التعظُّم والكبرياء، والفخر بالآباء، ثم إلى الله مرجعهم فنتقطع الأنساب، وتبطل الأحساب، إلا من كان حسبه التقوى، أو كانت ماتَّتُه(وسيلته) طاعة الله».

ويكثرفي كتابه من ذكرأخبارالإيرانيين وحكمهم فنرى في الجزء الأول فقط من كتاب *العقد الفريد* عناوين كثيرة في ذلك منها:

لأردشير يوصي ابنه ص ٢٣، لابرويز يوصي ابنه شيرويه ص ٢٧، ملك من ملوك العجم استشاروزيريه ص ٦٣، للعجم في أشد الأمور تدريبًا ص ٩١، لأنوشيروان ص٩١، ملك من ملوك العجم ص١١٣، وقيعة ملك الهياطلة بيزدجرد ص١١٤، لكسرى في الأسخياء ص١٩١، لكسرى في الشح ص٢٣٧، وفود العرب على كسرى ص٢٧٥، وفود حاجب بن زرارة على كسرى ص٢٨٧، وفود أبي سفيان إلى كسرى...

وهذا كما ذكرت في الجزء الأول فقط، ويحمل دلالة واضحة على أن الرجل أراد أن يفتح أمام الأندلسيين نافذة يطلّون بها على مشرق العالم الإسلامي بكل تفاصيله.

المؤلف الأندلسي الثاني الذي نقف عنده هوابن حزم صاحب

كتاب، *طوق الحمامة في الألفة والألاف* ومؤلفات أخرى.

وهو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، من أسرة إيرانية، أسلم جدّه، وصار من موالي الأمويين. يقول هو عن ذلك:

سما بيَ ساسانٌ ودارا وبعدَهم قريشُ العُلا أعياصُها والعنابسُ

فما أخرّت حربٌ مراتبَ سؤددي ولا قعدتْ بي عن ذرى المجدِ فَارسُ

فهو يصرّح بانتسابه إلى دارا وملوك الفرس الساسانيين، ويشير إلى ولائه، والأعياص والعنابس من بطون القبيلة الأموية. ويرى أنه سادَ بنفسه لا بولائه وأصله.

ولد سنة ٣٨٤هـ، والده كان وزيرًا للمنصور ابن أبي عامر بقرطبة، ومثقفًا ثقافة عالية. وكانت له مجالس يحضرها الوعاظ والشعراء. وفي هذه المجالس نشأ عليّ، ثم أكبّ على طلب العلم في مساجد قرطبة، فتعمّق في مختلف العلوم.

كثير من مؤلفاته ضاعت وما بقي منها:

في الفقه والأصول: *المحلّى*، *والإحكام*، *ومراتب الإجماع*، *وحجة الوداع*.

وفي العقائد والمذاهب: *الفصل في الملل والنحل*.

وفي المنطق: *كتاب التقريب*.

وفي الأنساب والأخبار: *كتاب الجمهرة* وجوامع *السيرة*.

وفي الأدب: *طوق الحمامة* وقطعة من *ديوانه*.

ووصلتنا منه رسائل كثيرة منها رسالته في فضل الأندلس وغيرها من الرسائل.

كان يقول الشعر على البديهة، وفي *طوق الحمامة* يذكر بعض

هذه الأشعار. اشتغاله بالعلوم المختلفة صرفه عن الإجادة في الشعر، و إن كان شعره زاخرًا بالمعاني وبآثارثقافته الموسوعية.

وكتابه *طوق الحمامة في الإلفة والألاّف*. أصدره لأول مرة المستشرق بتروف سنة ١٩١٤، واهتم به الغربيون وترجموه إلى لغاتهم، وكتبت عنه دراسات كثيرة بالعربية وباللغات الأجنبية.

موضوع الحبّ شغل الفكرالإنساني على مرّالتاريخ، وفي العصورالإسلامية اهتم الفلاسفة والفقهاء والعرفاء والأدباء بهذه النزعة الإنسانية، وحاولوا كشف طبيعتها وذكرأقسامها منهم الفقيه الظاهري محمد بن داود الإصفهاني في كتاب *الزهرة* و إخوان الصفا في رسائلهم، وابن سينا في رسالة في ماهية العشق وغيرهم كثير.

وفي الأندلس يلقانا هذا الكتاب وكتاب آخرللسان الدين ابن الخطيب هو *روضة التعريف بالحب الشريف*.

ابن حزم يذكرفي الكتاب «أحوال الحبّ»، والطوق في اسم الكتاب رمزللجمال، ولعله في *طوق الحمامة* أراد أن يبين العلاقة بين الجمال والحبّ.

لقد أجمع المفكرون المسلمون الذين تناولوا مسألة الحبّ، أن الإنسان مفطورعلى حبّ الجمال، لأنّ الله سبحانه هو الجميل المطلق، وكلّ جمال نسبيّ في الإنسان والطبيعة يعشقه الإنسان لأنه يثيرفي نفسه شوقًا إلى الجمال المطلق.

ونثرابن حزم يفوق شعره حيويّة وجمالاً وتأثيرًا. نرى في الكتاب الأسلوب الفني في الحكاية والوصف الفني، تتخلّله صورشعرية دون إسراف.

في رحاب الرَّسول

احمد الوائلي *

نظمت بالمدينة المنورة عام ١٩٧٦م

أتيتـــــك بالأشـــــواق أطفـــــو وأرســـــبُ
وكلِّـــــيَ آمـــــالٌ وكلّـــــك مَطلَـــــبُ
ملكـــت علـــى بُعـــد الـــدِّيار مشـــاعِري
فأنـــتَ إلـــى ذهنـــي مـــن الفكـــر أقـــرب
إلـــى أن دنـــت منِّـــي الـــدِّيار وأصـــبحت
قبابُـــك فـــي عينـــي تهـــلّ وتغـــرب
تلاشـــت حـــدودي فـــي حـــدودك والهـــوى
تُوحِّـــدُ أشـــتاتٌ بـــه وتـــذَوَّب
فعـــدتُ ومـــا إلاّكَ عنـــدي معشَـــرٌ

---

* -داعية وأديب كبير.

فأنـــت بهـــا فكـــرودينٌ ومـــذهب

* * *

قطعـــتُ إليـــك الأرض شاســـعةَ المـــدى
إذا مـــا تقضَّـــى سَبْسَـــبٌ جَـــدّ سَبسَـــبُ
تخايـــل فيهـــا الرَّمـــل أن صـــار معبـــرًا
إليـــــك ودربٌ للحبيـــــب محبّـــــب
ولاح عليـــــه رســـــم أخفـــــاف ناقـــــةٍ
غـــــزوتَ عليهـــــا يـــــومَ لله تغضـــــب
وقافلـــــة مـــــازال رجـــــع حـــــدائها
يغـــــرِّد فـــــي بـــــدرٍ وأحُـــــدٍ ويطـــــرب
عليهـــا مـــن الصَّـــحب الكـــرام عـــزائمٌ
إلـــى الآن بالصَّـــحراء منهـــا تلهِّـــب
يقـــود بهـــا للفـــتح فكـــرٌّ معمَّـــقٌ
ويحـــدُو بهـــا للنَّصـــر ســـيفٌ مجـــرَّب
ومـــا قـــام مجـــد أو تســـامت حضـــارةٌ
بغيـــر النهـــى يفـــتنُّ والسَّـــيف يضـــرب

* * *

ولا وطـــأتْ للمســـك مـــن أرض طيبـــة

وهــبَّ عبيــر مــن شــذَى الخلــد أطيــب

وأقحمــتُ طرفــي لجَّــة النّــورلوحــت

شــمائلَ أشــهى مــن خميــل وأعــذب

تخيَّلــتُ عشــرًا مــن قــرونٍ وأربعًــا

ســتُبعد طرفــي عــن رؤاك وتحجــب

ولكــن رأيــت الأمــس عنــدي بســحره

ثــريٌّ كمــا يهــوى الجــلال ويطلــب

كــأنَّ السِّــنين الــذّاهباتِ وبُعــدها

مرايًــا بهــا تــدنو إلــيَّ وتقــرب

ولملمــت طرفــي مــن ســناك ولمعِــهِ

كــذا الشــمس تعشــو العــين منهــا وتتعــب

وراودت فكــري أن يعيــك فــأدَّه

بأنّــك أوفــى مــن مــداه وأرحــب

فآويــت للــذِّكرى يمــس ســلافها

فمــي فــإذا ريقــي لهــا يتحلّــب

وهوَّمــت للأصــداء تســكر مســمعي

بأنغامهــا فالــدَّهر هيمــان مطــرب

* * *

سـماحًا أبـا الزَّهـراء أن جئـت أجتلـي
سـناك وأسـتهدي الجـلالَ وأطلـب
إذا لـم تُؤمِّـل فـيضَ نـورك ظلمتـي
فمـن أيـن يرجـو جلـوة النـور غيهـب
وإن لـم يلـج ذنبـي ببابـك خاشـعًا
فمـن أيـن يرجـو رحمـة الله مـذنب
ومثلـك مـن أعطـى ومثلـي مـن اجتـدى
فـإنَّ السَـما تنهـلّ والأرض تشـرب
ومـا عنـد بـاب الأنبيـاء معـرَّة
فلـيس علـى مـن أمَّ بابَـك معتـب
أهبـت بنقصـي فاسـتجار بكامـلٍ
إلـى ذاتـه يُنْمـى الكمـال ويُنسـب
وأغـرى طلابـي أنَّ فـيض معينـه
مـدَى الـدَّهر ثـرٌّ مـا يجـفّ وينضـب
وعفّـرت خـدِّي فـي ثـرى مـسّ عفـره
لجبريـل مـن جنحيـه ريـش مرغّـب
وفيـه محاريـبٌ لآل محمَّـدٍ

بهـــنَّ ضـــراعاتُ إلـــى الله تنصـــب

وآثـــارأقـــدام صـــغارومهجـــع

إلـــى الحســـنين الـــزَّاكيين وملعـــب

وصـــوت رحَـــى الزَّهـــراء تطحَـــن قوتهـــا

إلـــى جِلْـــدِ كـــبشٍ حيـــث تجلّـــس زينـــب

رؤى ســـوف يبقـــى الـــدَّهر يـــروي جلالهـــا

وتبقـــى علـــى رغـــم البســـاطة تأشـــب

* * *

عهـــدتك والقـــرآن نـــوروحكمـــة

يشـــد إليـــه التـــائهين ويجـــذب

وأنـــت عطـــاء كلّمـــا احتاجـــت الـــدُّنا

إلـــى مكســـب منـــه تولّـــد مكســـب

وأنـــت طمـــوح نـــال كـــلّ ممنَّـــع

ولـــم يرضـــه مـــن غـــارب الـــنجم منكـــب

وأنـــت شـــموخ فـــي النَّوائـــب مرقـــل

علـــى عزمـــاتٍ كلّهـــنَّ توثّـــب

وأنـــت إذا مـــا التـــاث رأي أصـــابه

مســـدَّدةٌ عـــن صـــائب الـــرَّأى تعـــرب

فمـــــا بالنـــــا لا نجتليـــــك بتيهنـــــا

وأنـــــت لنـــــا نبـــــعٌ وروضٌ مخصّـــــب

فقـــد يكتفـــي فـــي تافـــه الـــزَّاد كاســـل

لأنَّ كـــــريم الـــــزَّاد مأتـــــاه متعـــــب

* * *

ويـــؤذي النُهـــى والمنطـــق الجـــدَّ أن يـــرى

هـــــراءً هـــــزيلاً يســـــتطيل ويطنـــــب

تـــــداعى إليـــــه الحـــــالِمون وغـــــرهم

بريـــــقٌ بـــــه فيمـــــا عرفنـــــاه خُلّـــــب

فخاطـــــب مـــــنهم فاشـــــلاً ومبلّـــــدًا

وصـــــوَّره المظلـــــوم يســـــبى وينهـــــب

فثـــــابوا إليـــــه يرمحـــــون وعنـــــدهم

مـــن الحقـــد مـــا يبـــري الرِّقـــاب ويحطـــب

ويؤلمـــــك الإنســـــان يقتـــــل تِربَـــــه

ودون الـــدِّماء الحمـــر مـــا هـــو أصـــوب

وقـــــد تحســـــبنِّي ظالمًـــــا متجنِّيًـــــا

تناسَـــى الّـــذي يفضـــي لـــذا ويســـبِّب

وكـــلاّ فمـــا أنســـى كروشًـــا تضـــخّمت

مـــن الســـحت يُجنـــى والكســـيرة تُنهـــب

ولا بالّـــــذي ينســـــى ســـــياطًا لئيمـــــةً

تشـــظِّي جلـــودَ الكـــاد حينًـــا وتُلهـــب

ولكننـــــي أرثـــــي لنـــــاسٍ تفـــــرُّمـــــن

جحـــــيمٍ ليحويهـــــا جحـــــيمٌ مـــــذهَّب

تعثّـــرفـــي أشـــواطه وهـــو لـــم يـــزل

إلـــى الآن يـــروي الإدّعـــاء ويصـــخب

البلدان الغربية في ظل هذه الحضارة ليست سعيدة بالمعنى الإنساني لكلمة السعادة. لا يتمتعون باستقرار روحي، ولا بعدالة اجتماعية، ولا رعاية لشؤون الإنسان والإنسانية. أعظم الحروب شعل أوارها الأوربيون بهذه الحضارة وبآلة هذه الحضارة ارتكب الغربيون أفظع مجازر التاريخ.

الإمام الخامنئي

البدعة بمفهوم حضاري

الالتزام بالقرآن والسنة أعظم ميزة تختص بها الجماعة المسلمة. وهذه الميزة توحد الأمة في الفكر، والعاطفة، والروابط، والمسير، والهدف، وتحول دون أن تتلاعب بها الأهواء وتعصف بها التيارات وتفتك بها عوامل التفرقة والشتات.

ومن الواضح جدًا أنّ الأمة الإسلامية كانت موحدة بقدر ما كانت ملتزمة بالقرآن والسنة، ثم دب فيها الشقاق واتسع باتساع دخول «البدع» فيها.

الكفر والإلحاد والزندقة لا تمزق الأمة كما تمزقها البدعة. لأن الأمة تقف جميعها صفًا واحدًا أمام الكفرة والملحدين والزنادقة، غير أنها إزاء البدعة. (وهي الانحراف المتقمص لباس الدين) تنقسم على فريقين: فريق واع متفهم لدينه يميز الحق من الباطل، فينكر البدعة، وفريق لم يبلغ مستوى التمييز والتمحيص، فيتجه مدفوعًا بعاطفة سطحية أو بذاتية ضيقة إلى الانحراف العشوائي وراء المبتدعين، وقد يبلغ به التعصب لها حد تقديم النفس والنفيس!!

وبرزت البدع في تاريخ الإسلام من يوم أنْ أجازت السلطة الحاكمة لنفسها أنْ تشرّع خلاف نصوص القرآن والسنة، فدخلت في المجتمع الإسلامي بدعة التمييز الطبقي والتمييز العنصري، وبدعة السكوت أمام التسلط الفرعوني، ومن يوم أنّ ولي أمر الأمة ولاة من سفهائها وفجارها، فاتخذوا مال الله دولاً، وعبادة خولاً،

والصالحين حربًا، والفاسقين حزبًا[1].

لقد ظهر على مر التاريخ دعاة وقفوا بوجه البدع وحاربوها، واسترخصوا كلّ نفيس من أجل إعلان زيفها، وقدموا دمهم في سبيل مكافحتها، وفي سبيل إعلان حكم الله صريحًا واضحًا بشأنها.

وتمرّ علينا كلّ عام في العاشر من محرم ذكرى «عاشوراء» الحسين بن علي سبط رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ التي سجلت أعظم موقف إسلامي ملتزم في مكافحة بدع العصر الأموي، السياسية منها والاقتصادية والفكرية والعقائدية.

وهذه الذكرى ـ وإن اتخذت طابعًا مذهبيًا مع الأسف ـ هي في الواقع حدث هام يجب أن يعتز بها كلّ مسلم غيور على أمته وإسلامه، لأن صاحبها لم يكن يمثل طائفة خاصة من المسلمين، بل كان يعبّر عن آمال كلّ المسلمين الذين يستهدفون العودة إلى إسلام رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام دون أن تشوبه بدعة المبتدعين وانحراف المنحرفين.

مَنْ من المسلمين اليوم لا يعرف مكانة الحسين ـ عليه السلام ـ ولا يجل الأهداف التي أعلنها، ولا يقف موقف إعظام وخشوع أمام جسامة التضحية التي قدّمها؟.

مَنْ من المسلمين اليوم لا يعرف فضل الحسين على الأمة بما

١- انظر إلى رسالة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ إلى مالك الأشتر لما ولاه مصر، *نهج البلاغة*، تحقيق صبحي الصالح: الرسالة ٦٢: ٤٥٢.

بذله في سبيل إحياء روح العزة والكرامة والمقاومة والأصلة والالتزام ورفض البدع فيها ؟. فلماذا إذن تبقى ذكرى «عاشوراء» محدودة في إطار مذهبي معين ؟ لماذا لا تتسع لتشمل كلّ من يعرفون الحسين مكانته وأهدافه وتضحياته، وآثار ثورته في مسيرة الحياة الإسلاميّة؟ !

وثورة الحسين إن استطاعت أنّ ترسم الطريق أمام كلّ المصلحين تجاه المبتدعين،

فهي لم تستطع ـ في ظل غياب الوعي الإسلامي وإقصاء القيادة المبدئية للأمة ـ أنّ تضع حدًا لظهور البدع، فاستمرت الانحرافات بأشكال شتى، واستمرت أيضًا الثورات لتصحيح المسار على يد الذين دخلت ثورة الحسين ـ عليه السلام ـ في وجدانهم وترسخت في نفوسهم وعواطفهم.

ما أردنا في هذا المقال أنّ نقف عند ثورة الحسين رائدة مكافحة البدع في التاريخ، لأنها أشهر من أن نتحدث عنها، وأعظم من أن نخصص مقالاً لها، بل أردنا أن نلمح إلى موقف عظيم آخر اتخذه سليل الحسين العبد الصالح الإمام الحسيني السيد علي الخامنئي لنفض مارا ن على ذكرى الحسين ـ عليه السلام ـ من بدع هي أبعد ما تكون عن روح الإسلام وروح أهداف عاشوراء.

لقد اهتم الحريصون على «حياة» الأمة بإبقاء ذكرى الحسين ـ عليه السلام ـ «حية» في النفوس، ووضعوا لنا «منهاج إحياء الذكرى» في إطار ملتزم محافظ على تعاليم الإسلام ومبادئه. وعلى

مر الزمن ـ وفي ظل غياب الوعي وإقصاء القيادة المبدئية ـ طال منهاج الإحياء هذا ما طال سائر أمور الدين من بدع وانحراف وظهر فيه ما يسيء إلى عظمة الذكرى ورساليتها. وظهر بين الفينة والأخرى من تصدى لهذه البدع، لكن الموقف الغالب منها كان السكوت خوفًا من رد فعل العامة والغوغاء، كما كان هناك من يشجع هذه البدع والخرافات ليعيش على دفئها كما يعيش المشعوذون على دفء جهل الناس وهبوط مستوى تفكيرهم.

الانتصار الإسلامي الكبير في إيران نسف أخطر بدع كانت تسود الذهنية الإسلاميّة، تدور حول استحالة إقامة دولة الإسلام، وحول انفصال الدين عن السياسة، وحول عدم إمكان الانتصار على الطاغوت العالمي المستفحل، وبعد انهيار هذه البدع الكبرى كان لابد من الالتفات إلى البدع الأخرى الموروثة من عهود الانحطاط وضعف الصوت الإسلامي الملتزم. ومع أنّ حياة الإمام الراحل السيد آية الله العظمى الخميني رضي الله عنه وأرضاه كانت مليئة بعد الانتصار الإسلامي بمهام إقامة الدولة، وتثبيت الأسس والمفاهيم، ومواجهة الحرب العدوانية الظالمة، لكنه لم يترك فرصة دون أنّ يعلن استنكاره لظاهرة انحرافية أو لبدعة يراها في المجتمع ويقدم توجيهه اللازم بشأنها.

واصل هذا الطريق خلفه بجد ونشاط خاصة مع ازدياد موجة الحركة الثقافية والاجتماعية الدينية بسبب توقف الحرب.

ويأتي موقف السيد ولي أمر المسلمين ـ سدد الله خطاه ـ من

بعض البدع في إحياء ذكرى الحسين ـ عليه السلام ـ أيام شهر محرم، ليسجل صفحة تاريخية بيضاء ناصعة من صفحات تاريخ آل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين في إحياء السنة وإماتة البدعة.

صحيح أنّ حادثة عاشوراء بكل ما أحاط بها من مأساة لم يعرف التاريخ لها نظيرًا، تدمي القلب، وتحزّ في النفس وتثير عاطفة وهياجًا في وجدان من يحب رسول الله وآل بيته. لكن إحياء هذه الذكرى في العواطف يجب أنّ يكون في حدود ما أقرته السنة، وكل خروج عن ذلك فهو بدعة تشوه الوجه الناصع للإسلام، وتفتح المجال للجهلة والمغرضين أنّ يعبثوا كيفما شاؤوا في شعائر العزاء الحسيني، ويأتوا كلّ يوم بطامة جديدة.

وهذا ما حدث بالفعل حين عمد نفر إلى إشاعة إدماء الرأس والجسم يوم العاشر من محرم، تحت عنوان المشاركة العاطفية مع دماء العترة الطاهرة التي أريقت في كربلاء.

ومهما يكن الدافع في هذا العمل نزيهًا فإنه خروج على السنة و"أشبه شيء بالخرافة"[1]. ولا يقره الإسلام.

وواضح أنّ اتخاذ موقف تجاه هذه الظاهرة وأمثالها يصطدم بعواطف أولئك الّذين يقدسون هذه العادات، ويجعلون منها وسيلة قربة إلى الله سبحانه وتعالى، ووسيلة انشداد بآل رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

١- نفس تعبير السيد ولي أمر المسلمين.

ولكن العالم الملتزم يجب أنّ يظهر علمه تجاه البدعة رغم لوم اللائمين. وهذه بعض العبارات التاريخية الخالدة من خطاب السيد ولي أمر المسلمين في هذا المجال باختصار شديد:

ـ«الخطابة (في مجالس العزاء الحسيني) يجب أنّ تدور حول ثلاثة محاور:

تعميق العاطفة تجاه الحسين بن علي ـ عليه السلام ـ وآل بيت رسول الله عليهم صلاة الله. وإعطاء صورة واضحة للمستمع عن حادثة عاشوراء. وبث الوعي الديني والعمق الإيماني تجاه المعارف الدينية يجب أنّ نحذر تمامًا من أي فعل يبعد مجلس العزاء الحسيني عن فلسفته الواقعية.

ـ(إدماء الرأس) ليس من الدين: إنّ الله لا يرضى عنه دون شك. وعلماء السلف كانوا مكتوفي الأيدي وغير قادرين أنّ يقولوا شيئًا (تجاه هذه البدع)، أما اليوم فهو يوم حاكمية الإسلام وسطوع نجم الإسلام، فلا يجوز أنّ يشوب مجتمعنا الإسلامي السامي ما يظهره بمظهر خرافي غير منطقي.

ـأنا واثق أنّ هناك من سيعلق على كلامي هذا، تحدوه عاطفة نبيلة قائلاً: حبذا لو أنّ فلانًا لم يتحدث عن هذا الموضوع الآن ! كلا! لابد أنّ أقول كلمتي، لابد أنّ أقول كلمتي. أنا مسؤول أكثر من الآخرين. أنتم أيها السادة يجب أنّ تقولوا أيضًا كلمتكم.

ـهذا خطر كبير في عالم الدين والمعارف الدينية، حماة حدود العقيدة يجب أنّ يلتفتوا إلى ذلك.

ـ«المرحوم آية الله العظمى السيد البروجردي هذا العالم الكبير، والمجتهد القوي العميق المتفتح نهى ـ كما نقل ـ عن تقبيل عتبة (مراقد أئمة آل البيت) مع أنّ هذا العمل قد لا يخلو من استحباب وذلك لكي لا يوحي هذا العمل أننا نسجد لقبور أئمتنا.، فمن الذي يشيع اليوم العادات الخاطئة بين الناس (في طريقة زيارة قبور الأئمة) ؟! أخشى أنّ يكون (ترويج هذه الظواهر الانحرافية) من عمل الأعداء !».

وأمام هذا الموقف التاريخي الشجاع يتحمل الإسلاميون مسؤولية كبرى.

مسؤولية إشاعة الوعي الإسلامي العميق لتجفيف منابع مظاهر الانحراف والبدع.

ولنا في الخاتمة حديث مع كلّ المصلحين العاملين على مكافحة البدع في عالمنا الإسلامي.

مكافحة البدع يمكن أنّ تجمع الأمة ويمكن أنّ تفرقها وتزيد في تمزقها:

تجمعها إنّ كانت محاربة البدع تنطلق من فهم واع حضاري عميق لمفهوم البدعة، وكانت مصحوبة بعملية توعية شاملة على الإسلام بكل جوانبه وأبعاده الواسعة، كما يحدث اليوم في ظل دولة الإسلام المباركة.

وتفرقها وتمزقها إنّ كانت تفهم البدعة فهمًا ضيقًا متخلفًا لأنه ـ بموجب هذا الفهم ـ ستكون العلوم الفلسفية والكلامية التي هي

حصيلة الدراسات العقائدية لعلماء الإسلام، وسلاح الدعاة لمواجهة الأفكار الهدامة، ستكون بدعة لأنها لم تكن في زمن الصحابة والتابعين !!، وستكون المؤتمرات والندوات والاحتفالات التي تقام لإحياء ذكرى رموز الإسلام في مواليدهم ووفياتهم بدعة !!، وسيكون الاهتمام بمراقد هؤلاء الرموز وزيارتها لاستلهام معطيات حياتهم الجهادية والفكرية بدعة أيضًا!!.

ولقد شهدت القرون الأخيرة مثل هذه التيارات لمكافحة البدعة أضرت ـ مع الأسف ـ أكثر مما نفعت، ومزقت الأمة أكثر مما جمعتها على القرآن والسنة.

وتفرقها أيضًا إنّ لم يصحبها وعي كامل بالإسلام في جميع أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعقائدية. لأن الجاهل بلب الإسلام سيتشبث بالقشور ويتعصب لها وينازع من أجلها، وتأتي النتيجة عندئذ خلاف ما يتوقعه الداعية في تجميع الأمة على هدى القرآن والسنة.

فلتتحد كلّ خطى العاملين على مكافحة البدع في أمتنا الإسلاميّة على هدي من القرآن والسنة وفهم حضاري عميق للإسلام، وليكن أسلوبهم الحكمة والموعظة الحسنة ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

١- التوبة/ ١٠٥.

البيان الختامي

لمؤتمر الوحدة الإسلامية الخامس والعشرين

«تعدد المذاهب حالة طبيعية لها أثرها الإيجابي في تنوع الحلول للمشكلات»

«رفع مستوى الوعي لدى المسلمين في مختلف المجالات وبخاصة في مجال فهم الإسلام وتعاليمه وأهدافه وفهم الواقع القائم على مختلف الأصعدة»

أوصى البيان الختامى للمؤتمرالدولى الخامس والعشرين «للوحدة الإسلامية» بسبعة عشربندًا كخلاصة لثلاثة أيام من المناقشات والأبحاث فى مجال نقد مسيرة التقريب ومؤتمر الصحوة الإسلامية كذلك. وفيما يلي نص البيان كما أعلنه رئيس المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية آية الله الشيخ محمد على التسخيري :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد خلقه محمد وآله الطاهرين وصحبه الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فبعون الله تعالى، وبمناسبة أسبوع الوحدة الإسلامية فى ذكرى ميلاد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام جعفرالصادق(عليه السلام)، عقد المجمع العالمي للتقريب بين

المذاهب الإسلامية مؤتمره الدولى الخامس والعشرين للوحدة الإسلامية بطهران من ١٥-١٧ ربيع الأول ١٤٣٣هـ الموافق ٨-١٠ فبراير/شباط ٢٠١٢م بحضور المئات من الشخصيات العلمية من الجمهورية الاسلامية الايرانية ومن سائر أنحاء العالم. وقد خُصص هذا المؤتمر لدراسة موضوع (**تقييم مسيرة مجمع التقريب خلال عشرين عامًا وندوة الصحوة الاسلامية**).

وقد افتتح المؤتمر سيادة الدكتور محمود أحمدي نجاد رئيس الجمهورية الاسلامية الايرانية بكلمة جامعة ، كما حظى المشاركون بلقاء قائد الثورة الإسلامية سماحة الإمام الخامنئى (دام ظله) وتبادلوا الحديث معه واستمعوا بهذه المناسبة إلى حديثه التوجيهي القيم.

وتدارس المؤتمرون موضوع المؤتمر على مدى ثلاثة أيام وفى ثلاثين جلسة عمل ومن خلال عرض مائة وخمسة وعشرين بحثًا وكلمة.

وفي ختام جلساته أصدر المؤتمر التوصيات التالية:

أولاً: يؤكد المؤتمرون انطلاقًا من مسلمات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أن الإسلام جامع لأهل القبلة، ودليلُه الشهادتان اللتان تعصمان دم الناطق بهما وماله وعرضه، كما يرون أن التقريب بين المذاهب الإسلامية سبيل مهم لتحقيق وحدة الأمة فى شتى المجالات، وأن المذاهب الإسلامية التى تؤمن بأركان الإسلام وأصول الإيمان ، ولا تنكر معلومًا من الدين بالضرورة، يؤلف المنتمون إليها بمجموعهم الأمة الإسلامية الواحدة، وتتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على مَنْ سواهم، ويتعاونون لتحقيق الأهداف الإسلامية السامية، وأن الاختلاف السياسي لايجوز

أن يستغل الاختلافات العقدية أو التاريخية أو الفقهية، وأن إثارة أية فتنة طائفية أو عرقية لاتخدم إلا أعداء الأمة، وتحقق خططهم الماكرة ضدها، وتكرس احتلالهم البغيض لأرضها وينبغى مقاومتها بالوسائل كافة.

ثانيًا: يؤكد المؤتمرون على أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة حققا للأمة الاسلامية أجواءً انسانية حضارية رائعة، وأشاعا العقلانية وروح الحوار البناء، وحرية الاجتهاد بضوابطه الشرعية، وغرسا روح الأخوة والوحدة بعد أن وضحا خصائص الأمة الاسلامية ورسالتها السامية إلى العالم كله ومن ثم كان تعدد المذاهب حالة طبيعية لها أثرها الإيجابى فى تنوع الحلول للمشكلات على ضوء أحكام الشريعة الإسلامية وأصولها.

ثالثًا: يؤكد المؤتمرون أن الأمة الإسلامية تواجه تحديات كبرى تستهدف عقيدتها وشخصيتها وثقافتها ومقومات وجودها ودورها الحضاري المنشود وتتعرض لمؤامرات لتمزيقها جغرافيًا، ولغويًا، وقوميًا، ومذهبيًا، بل وتاريخيًا. كما تسعى لإبقائها متخلّفة على الصُعُد الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والعسكرية وغيرها.

وتخطط لإبعادها عن إسلامها والتشكيك فى قدرته على مواجهة المشاكل الحياتية المستحدثة، و إشاعة السلوكيات المادية المنحرفة عما رسمته الشريعة، وزرع حالة التقليد والتبعية للغرب والانبهار به. وكذلك عبر إضعاف التربية والتعليم الإسلاميين والتشكيك فى قدرتهما على النهوض بالأمة، واختراق الإعلام الإسلامى بإشاعة روح الهزيمة والإذعان والانحلال الخلقى لئلا يقوم بدوره المطلوب في وأد الفتن والتوعية وبناء الشخصية الإسلامية المتوازنة.

رابعًا: يرى المؤتمرون أن الأهواء والنزعات السياسية، وشيوع حالات التعصب، وجهل بعض أتباع المذاهب بحقيقة المذاهب الأخرى انحرفت بالحالة السوية تلك إلى حالة طائفية ممزقة سادتها ظاهرة الغلو والتكفير والتطرف والتنافر والتمزق ونقل النزاع الفكري إلى الساحة العملية مما ترك آثارًا سلبية خطيرة على قوة الأمة وتماسكها وسهّل السُبل ليقوم أعداؤها بطعنها في صميم عقيدتها وتوجهاتها النظرية والعملية الأصيلة.

خامسًا: تحقيقًا لهذه الوحدة بين أهل القبلة، ولهذا التقريب بين أتباع المذاهب الإسلامية، يدعو المؤتمرون إلى وجوب احترام كل طرف منهم للآخر، و إلى ترك البحث فى هذه الأمور الخلافية للعلماء والخبراء في بحوثهم العلمية، وعدم الإساءة والتشهير بأحد. كما يؤكد المؤتمرون على عدم جواز توجيه ما يُعدّ انتقاصًا أو إهانة لما يحترمه أي طرف، ويشمل هذا بوجه خاص عدم جواز انتقاص آل البيت أو أمهات المؤمنين أو الصحابة أو أئمة المسلمين، بالنيل منهم، أو التعرض لأي شىء يُنسب إليهم بأي نوع من أنواع الإساءة القولية أو الفعلية، وعدم جواز استباحة دور العبادة من مساجد و حسينيات وزوايا ومراقد. وفى هذا السياق يثمن المؤتمرون الفتوى التاريخية التى أصدرها سماحة الإمام الخامنئي قائد الثورة الإسلامية بخصوص تحريم النيل من رموز المذاهب الإسلامية والإساءة لأمهات المؤمنين والتى لاقت الترحيب الواسع من لدن كبار علماء الأمة والأوساط الدينية والأزهر الشريف.

سادسًا: يرى المؤتمرون أن هناك حاجة ماسة لوضع خطط

تفصيلية لتحقيق التقريب بين المذاهب الإسلامية فى المجالات التالية:

أ- رفع مستوى الوعى لدى المسلمين فى مختلف المجالات وبخاصة في مجال فهم الإسلام وتعاليمه وأهدافه وفهم الواقع القائم على مختلف الأصعدة.

ب - مطالبة الدول الاسلامية بتطبيق الشريعة الإسلامية فى كل مجالات الحياة.

ج - تفعيل العملية التعليمية والتربوية الشاملة لمختلف قطاعات الأمة وفق تعاليم الإسلام.

د- السعى للوصول إلى توحيد موقف الأمة عمليًا من قضاياها الكبرى وتحقيق التكافل والتضامن بينها فى مختلف المجالات.

هـ- تفعيل مؤسسات العمل الإسلامى المشترك كمنظمة التعاون الإسلامى والمنظمات غيرالحكومية الدعوية والخيرية والتربوية والتعليمية والإعلامية.

و- الاستفادة الأنجع من الإمكانات السياسية والاقتصادية والجغرافية، والطاقات العلمية للأمة وتعبئتها لتحقيق الأهداف الكبرى ومقاومة التحديات.

ز- مساعدة الأقليات الإسلامية فى أنحاء العالم على الاحتفاظ بهويتها وأداء شعائردينها وتفعيل دورها فى المجتمع، مع مراعاة حقوق غيرالمسلمين فى المجتمع الاسلامى.

ح - العمل الجاد لتطبيق الإعلان العالمى الاسلامى لحقوق الإنسان الصادرمن منظمة التعاون الاسلامي.

ط - تأكيد دورالشعوب الإسلامية فى صنع مستقبلها والمشاركة الفاعلة فى بناء ذاتها وصيغ حياتها الداخلية والمسيرة الحضارية الإنسانية.

ي - تربية الجيل الاسلامى على ثقافة المقاومة والعزة وتشكيل بناء مستقبلى أفضل مع التأكيد على الدورالهام للنساء والشباب.

سابعًا: يدعو المؤتمرون إلى الابتكاروالإبداع فى مجال الفكرالمؤدي إلى التقريب من خلال مايلى:

١ –تعميق المنهج الوسطى فى فهم الشريعة .

٢- مراعاة فقه الأولويات، ومعرفة المآلات، ومراعاة الظروف المتغيرة عند اتخاذ المواقف الشرعية.

٣- مراعاة مقاصد الشريعة، وخصائص الإسلام العامة.

٤- إحياء علم المقارنات وعلم الخلاف.

٥- الاهتمام بعملية الاجتهاد الصادرة عن المجامع الفقهية.

٦- الاهتمام بفقه النظريات الذي يختلف عن الاستنباط الجزئى.

٧- الاهتمام بالتعمق فى فكرالتقريب فى مختلف البحوث والدراسات ولاسيما الفقهية منها.

ثامنًا: وعلى الصعيد العملى يقترح المؤتمرون مايلى:

١ –تعميم منطق الحواربين المسلمين على الأسس الشرعية.

٢- توعية النخبة والجماهيربثقافة التقريب، وتعميم روح الألفة والأخوة والمحبة بين قطاعات الأمة.

٣- السعى المشترك المتضافرلاتخاذ المواقف الموحدة فى كل القضايا المصيرية من قبيل:

أ - تنفيذ الشريعة الإسلامية

ب - مواجهة التحديات الكبرى

ح - تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة.

٤- تشجيع إنشاء المؤسسات الوحدوية والتقريبية على كل الصعد الإعلامية والاجتماعية والتربوية فى كل مكان .

٥- تشجيع الدراسات التقريبية فى الجامعات عبرفتح الأقسام الجامعية فى هذا التخصص وتشجيع الرسائل وتقوية التبادل التخصصى .

٦- ضبط عملية الفتوى وفق الضوابط التى أقرتها المجامع الفقهية.

تاسعًا: يعلن المؤتمرون أن الدعوة إلى التقريب لاتعرف التعصب المذهبى أو محاولة نشرمذهب بين أتباع مذهب آخر وأن كل ما يُقال عن أنّ هذه الدعوة ليست خالصة لوجه الله لاأساس له من الصحة وهو محاولة للتشكيك فى العمل التقريبى ورسالته الإسلامية.

عاشرًا: يدعو المؤتمرون الأخوات المسلمات ممن يتمتعن بالقدرة العلمية إلى المساهمة بأبحاثهن وآرائهن فى إنجاح الدعوة إلى التقريب وأن يكون لهن دورٌواضحٌ فى مؤتمرات الوحدة الإسلامية ونشر الوعى التقريبى بين الأسر.

حادي عشر: يرى المؤتمرون أن المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية قام ـ خلال مسيرته التى دامت عشرين عامًا – بأدوارمهمة لتحقيق ما مرّ فى المواد السابقة بشتى الوسائل المتاحة. بيد أن هناك بعض المعوقات والنواقص التى يجب رفعها لتتضاعف الجهود وتتسارع الخطى لتحقيق الأهداف المنشودة. ومن ثم يقترح المؤتمرون الأمورالتالية:

١ – العمل على تطوير الجمعية العمومية وتوسيعها.

٢ – العمل على رفع ميزانية المجمع إلى مستويات تلبى الحاجة.

٣ – العمل على توسعة نشاطات المجمع للمساهمة النشطة فى عملية تعميق الصحوة الإسلامية وترشيدها والمنع من تحريفها من قبل العناصر المشبوهة.

٤ – العمل على إيجاد مراكز إقليمية تابعة تقوم بتنفيذ برامج تقريبية، وترصد كل التحركات المعادية.

٥ – توسعة النشاط على الشبكة العنكبوتية من حيث دائرة المخاطبين واللغات والنشاطات.

٦ – التوسع فى إصدار المجلات بمختلف اللغات ورفع مستوى الطباعة والكمية اللازمة.

٧ – توسعة النشاطات الإعلامية المسموعة والمرئية، وزيادة النشاطات الفنية، و إنتاج برامج تتناسب ومختلف الأصناف الاجتماعية.

٨ – الاهتمام بالثقافة الشعبية التقريبية وتعميقها فى مختلف الأعمار.

٩ – الاهتمام الزائد بالمواسم الدينية، وخصوصًا بالحج، والحضور الفعال فيها.

١٠ – السعى للحضور القوي فى مختلف الجامعات والمراكز العلمية وتوثيق الصلة بشكل أكبر بالأساتذة والطلاّب.

١١ – السعى لفتح فروع أكثر لجامعة المذاهب الإسلامية فى إيران وخارجها.

ثاني عشر: يدعو المؤتمر المجلس الأعلى والأمانة العامة للمجمع

لدراسة تقييمات اللجان و توصياتها التى شكلها فى المجالات الدولية والثقافية والشؤون الايرانية، وكذلك دراسة مقترحات اللجان الدائمة للجمعية العمومية، واتخاذ ما يلزم لتنفيذها خلال السنوات الثلاث الآتية وتقديم تقرير بذلك إلى الاجتماع القادم للجمعية العمومية.

ثالث عشر: يستذكر المؤتمرون كل الذين عملوا للحوار والتقريب والوحدة من الشيخ محمود شلتوت إلى السيد جمال الدين الحسينى إلى الشيخ محمد عبده إلى باقى رواد التقريب كالإمام البروجردي والإمام الخمينى والإمام المودودي والإمام كفتارو «رحمهم الله» والإمام الخامنئى «حفظه الله» وغيرهم، إلى الإمام المغيب السيد موسى الصدر.

رابع عشر: يدين المؤتمرون كل أشكال الاعتداء الصهيونى على شعبنا الصابر والمثابر والمرابط فى فلسطين وخصوصًا ما جرى من جرائم وحشية فى غزة البطلة الصامدة من تقتيل وتشريد للآلاف وكذلك ما يجري من هدم للمسجد الأقصى ومنازل الفلسطينيين فى مدينة القدس وتهويدها، بالتغيير الديموغرافى فى أرض فلسطين، كما يحيون جهاد الشعب الفلسطينى البطل ومقاومته الباسلة ويدعمون جهود المصالحة بين الفصائل الفلسطينية وتوحيدها ويؤكدون من جديد على ضرورة تنفيذ الحقوق الفلسطينية المشروعة وأهمها حقهم فى تقرير المصير و إقامة دولتهم المستقلة على الأراضى الفلسطينية كافة وعاصمتها القدس الشريف وحقهم فى العودة إلى ديارهم. كما يطالبون المجتمع الدولي بمحاكمة المجرمين الصهاينة ومعاقبتهم على ما اقترفوه من

جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.

خامس عشر: يعلن المؤتمرون أن المقاومة حق مشروع للشعوب، وهى تختلف اختلافًا جذريًا عن (الحرابة) التى تسمى اليوم بـ(الإرهاب) المدان إسلاميًا وعالميًا، سواء كان فرديًا أو جماعيًا أو ما قد تمارسه بعض الدول.

سادس عشر: يعتزّ المؤتمرون بالانتصارات الرائعة للشعوب الإسلامية على كثير من الصعد ومنها تغيير الحالة الدكتاتورية فى تونس ومصر وليبيا واليمن ومواصلة الجهود للحصول على الحقوق المشروعة للشعوب الأخرى، كما يهنئون العراقيين بخروج قوات الاحتلال الأمريكى من أرضه ويطالبونهم بالتكاتف لبناء بلدهم ووحدته وتماسكه ويحيون المقاومة الإسلامية والوطنية في لبنان.

سابع عشر: يحيى المؤتمرون جهاد الشعب الإيرانى وقيادته فى سبيل تطبيق شرع الله فى مختلف مناحى الحياة، ويدينون كل تآمر على هذه المسيرة الخيرة، كما يعلنون دعمهم لموقف الجمهورية الإسلامية الإيرانية فى تطوير قدراتها النووية للأغراض السلمية ويدينون كل الأساليب الملتوية التى تحاول منعها من الاستفادة من حقوقها المشروعة التى تكفلها لها القوانين الدولية. ويدعون بلدان العالم الإسلامى إلى الاستفادة من هذه التجربة.

ثامن عشر: يشكر المؤتمرون الجمهورية الإسلامية الإيرانية وقائدها الإمام الخامنئى (دام ظله)، كما يشكرون المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية على إقامة هذا المؤتمر المبارك واستضافته، ويرون فى إقامة أمثال هذه اللقاءات خيرًا كثيرًا.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم.